# مجلة بحوث المدينة المنورة ودراساتها

مجلة علميّة محكّمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م

العدد
٥٠

- مصادر عمارة المسجد النبوي حتى نهاية العهد المملوكي
- مشاركة المرأة المدنية في الشأن العام في عهد النبوة
  خطيبة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها نموذجًا
- المخطوطات المنسوخة في مكة المكرمة الموقوفة في مكتبة الشيخ عارف حكمت
  بمجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة

# مصادر عمارة المسجد النبوي حتى نهاية العهد المملوكي

أ. د. محمد بن عبد الهادي الشيباني

أستاذ التاريخ الإسلامي، رئيس قطاع التواصل العلمي والثقافي، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

## مقدمة:

أول عمل قام به النبي ﷺ بعد هجرته للمدينة، تأسيس مسجد قباء، ثم ارتحل لوسط المدينة، وأقام فيها مسجده حيث بركت ناقته بتوجيه إلاهي.

وتم بناء المسجد النبوي في بضعة أشهر شارك فيه النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم في حمل اللبن والبناء، وحينما تكاثر المسلمون قام بتوسعته بعد معركة خيبر في السنة السابعة من الهجرة.

ويمثل مسجد النبي ﷺ أهمية عظيمة لدى المسلمين، ففيه كان تعلم شرائع الإسلام، وقراءة القرآن وتدارسه، وعقد ألوية الجهاد وانطلاقها في عهد النبي ﷺ، وفيه روضة من رياض الجنة، وهي المساحة التي بين منبر النبي ﷺ وبيته الذي هو قبره ﷺ، إضافة إلى أنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال لزيارتها، كما أن الصلاة فيه تعدل ألف صلاة، وغير ذلك من الفضائل.

ولأهميته عند المسلمين فقد حظي المسجد النبوي بعد ذلك بالبناء الكامل والتوسعات عبر تاريخه المديد، وكان الخلفاء وسلاطين المسلمين يبذلون النفيس في جعله أفضل ما يكون، وأوقف المسلمون الأوقاف على خدمة المسجد وما يتعلق به من أعمال صيانة وتجديد.

وحيث إن الباحث في تاريخ المسجد النبوي يتطلع إلى معرفة المصادر التي يمكن من خلالها الوصول إلى المعلومات اللازمة الموثقة في بناء المسجد وتوسعاته، فإن هذا البحث يسهم في خدمة هذا الجانب للتعريف بأهم المصادر في ذلك.

ونظرًا لما مر على المسجد النبوي من كوارث طبيعية فقد تم تقسيم البحث

وفقًا لتلك الأحداث الجسيمة العظيمة؛ فكان القسم الأول يشمل بناء المسجد النبوي منذ تأسيسه على يد النبي ﷺ، ثم ما تم بناؤه وتوسعته على يد الخلفاء الراشدين، وعمارته الكبيرة على يد الأمويين في عهد الوليد بن عبد الملك، وتوسعاته وإصلاحاته في العهد العباسي حتى الحريق المدمر عام ٦٥٤هـ، الذي أتى على كل شيء فيه تقريباً.

وأما القسم الثاني: فيشمل إعادة بنائه بعد الحريق والإصلاحات المهمة التي قدمها سلاطين المماليك للمسجد النبوي، وتعهد سلاطين المماليك المسجد بالاهتمام والترميم والتحسين حتى حريقه الثاني عام ٦٨٦هـ، ومن ثم عمارته أحسن ما يكون على يد السلطان المملوكي الأشرف قايتباي.

وقد حرصت على عدم تجزئة مكونات المسجد في مكان واحد لكي يعرف ما قدمه المصدر من معلومات متكاملة عن بناء وتوسعات وترميمات المسجد النبوي.

أسأل الله أن ينفع بهذا العمل.

**الباحث**

# مصادر القسم الأول
# (منذ تأسيسه وحتى احتراقه سنة ٦٥٤هـ)

## أولًا: كتب السنة.

قدمت لنا كتب السنة بعض الأحاديث والأخبار المهمة عن تاريخ المسجد النبوي مثل بنائه، والروضة الشريفة، والسواري، والجذع الذي يخطب عليه النبي ﷺ، والمنبر، وفرش المسجد بالحصى، وسقف المسجد وأبوابه، وحجرات أزواجه صلوات ربي وسلامه عليه فمن الأمثلة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

(أنشأَ يحدِّثُنا، حتى أتَى ذكْرُ بناء المسجد، فقالَ: كنَّا نحمل لَبِنَ المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقلُ لَبِنَتَيْن لَبِنَتَيْن...) [(١)].

وعند أبي داود:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَدِمَ رسولُ الله -ﷺ- المدينةَ ... كانت فيه قُبورُ المُشركينَ، وكانت فيه خَرِبٌ، وكان فيه نَخلٌ، فأمَرَ رسولُ الله -ﷺ- بقُبورِ المُشركينَ فنُبِشَت، وبالخَرِبِ فسُوِيَت، وبالنَّخلِ، فقُطِعَ، فصَفوا النَّخلَ قِبلَةَ للمَسجِدِ، وجعلوا عِضادَتَيهِ حِجارةً، وجعلوا يَنقُلونَ الصَّخرَ وهم يَرتَجِزُونَ، والنبي -ﷺ- مَعَهم، ويقول: «اللهُمَّ لا خَيرَ إلا خَيرُ الآخِرة... فانصُرِ الأنصارَ والمُهاجِرَة»[(٢)].

(١) البخاري: الصحيح: ١/ ٩٧، (٤٤٧)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط١/ ١٤٢٢هـ.

(٢) أبو داوود: السنن: ١/ ٣٤٠، (٤٥٣)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة =



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي روايات أخرى متعددة في كتب السنة:

"أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيًّا باللَّبِنِ، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا، وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن، والجريد، وأعاد عمده خشبًا، ثم غيره عثمان، فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده حجارة منقوشة، وسقفه بالساج"(١).

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لما بنى المسجد جعل بابًا للنساء، وقال: «لا يلجنّ من هذا الباب من الرجال أحد» قال نافع: فما رأيت ابن عمر داخلًا من ذلك الباب ولا خارجا منه(٢).

ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، حدثني أبي، عن جدي قال: (كان رسول الله ﷺ قبل أن يبني المسجد يصلي إلى خشبة، فلما بنى المسجد، بُنِيَ له محرابٌ، فتقدم إليه فحنّت الخشبة حنين البعير، فوضع رسول الله ﷺ يده عليها فسكنتْ)(٣).

---

=

العالمية، ط١/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(١) البخاري: الصحيح: ١/ ٩٧، (٤٤٦)؛ أحمد: المسند: ١٠/ ٢٨٧، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الرسالة، بيروت، ط١/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م؛ أبو داود: السنن: ١/ ٣٣٨، (٤٥١).

(٢) أبو داود الطيالسي: المسند: ٣/ ٣٦٨، (١٩٣٨)، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير: ٦/ ١٢٦، تحقيق: حمدي السلفي، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

كما توضح بعض كتب السنة الزيادة التي تمت في المسجد بعد فتح خيبر، من ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده:

"عن أبي هريرة، أنهم كانوا يحملون اللَّبِنَ إلى بناء المسجد، ورسول الله ﷺ معهم، قال: فاستقبلت رسول الله ﷺ وهو عارض لَبِنَةً على بطنه، فظننت أنها قد شقت عليه، قلت: ناولنيها يا رسول الله، قال: «خذ غيرها يا أبا هريرة، فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة»[(١)].

ومن المعلوم أن أبا هريرة أسلم بعد فتح خيبر.

وكذلك ما رواه الإمام أحمد[(٢)] والترمذي[(٣)] وحسنه، والنسائي[(٤)]، وابن أبي عاصم[(٥)]:

"أن عثمان رضي الله عنه، أشرف على الناس فقال: «أهاهنا علي؟» قالوا: نعم. قال: «أهاهنا طلحة؟» قالوا: نعم. قال: «أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أنّ رسول الله- ﷺ - قال: «من يبتاع بقعة بني فلان فليزيدها في المسجد بخير منها في الجنة؟»».

---

(١) المسند: ١٤/ ٥١٢، (٨٩٥١).

(٢) المسند: ١/ ٥٣٥، (٥١١).

(٣) السنن: ٥/ ٦٢٧، (٣٧٠٣)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢/ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٤) السنن: ٦/ ٢٣٥، (٣٦٠٨)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢/ ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

(٥) السنة: ٢/ ٥٩٥، (١٣٠٩)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط١/ ١٤٠٠.

وفي رواية: «غفر الله له». فاشتريتها من صلب مالي بعشرين ألفًا فأتيت النبي-ﷺ- فقلت: قد ابتعتها. فقال: «اجعلها في مسجدنا ولك أجرها». قالوا: «اللهم نعم».

## ثانيا: كتب السيرة النبوية.

١) يعتبر **الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري** الذي عاش في المدينة حتى سنة ٨٢هـ أول من جمع ما رواه التابعون من السيرة وأضاف إليها ما رواه هو أيضًا، وبعد ذلك رتب هذه الأخبار على النحو الذي ظهرت فيه السيرة النبوية المعروفة عند: ابن إسحاق، وموسى بن عقبة؛ ويهمّنا ما ذكره محمد بن مسلم الزهري في كتاب المغازي -الذي لم يصل إلينا- ووصل لنا العديد من مروياته فيما يتعلق بتاريخ بناء المسجد النبوي(١).

٢) **موسى بن عقبة**، ت١٤١هـ: وكان كتابه عن السيرة موجودًا في القرن العاشر الهجري وقد وصلت إلينا روايات عديدة عنه ومنها هذا النص:

"والمسجد يومئذ سقفه من جريد النخل، وخوص لبن على السقف، كثير الطين، إذا كان المطر يملأ المسجد طينًا، وإنما هو كهيئة العريش، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشبًا، ثم عمره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جدره بالحجارة

(١) وكيع، محمد بن خلف بن حيان، الطريق: ص ١٢٣، تحقيق: عبد الله الوهيبي، دار اليمامة، الرياض، ط١/ ١٤٢٠هـ؛ البيهقي: دلائل النبوة: ٢/ ٥٤٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/ ١٤٠٥هـ؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد: ٣/ ٣٣٩، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/ ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة"[١].

٣) وأما **محمد بن إسحاق** ت ١٥١هـ: فقد اكتفى فقط بالإشارة إلى بناء المسجد دون تفصيل[٢].

٤) **الواقدي** ت ٢٠٧هـ: له من الكتب كتاب: **الطبقات**. وكتاب: **التاريخ الكبير**. ولم يصلنا مما يتعلق بالسيرة سوى كتابه: المغازي، ولم يورد خبر بناء المسجد لأنه خارج موضوع الكتاب، ولكن تلميذه ابن سعد (ت٢٣٠هـ ) في كتابه: الطبقات أورد عن الواقدي عن الزهري هذا النص: "قال محمد بن عمر: وقال غير معمر عن الزهري: فابتاعه منهما بعشرة دنانير. قال: وقال معمر، عن الزهري: وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك، وكان جدارًا مُجَدَّرًا ليس عليه سقف، وقبلته إلى بيت المقدس، وكان أسعد بن زرارة بناه فكان يصلي بأصحابه فيه، ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل الذي في الحديقة وبالغرقد الذي فيه أن يقطع، وأمر بِاللَّبِنِ فضرب، وكان في المِرْبَدِ قبور جاهلية، فأمر بها رسول الله ﷺ فنبشت وأمر بالعظام أن تغيب، وكان في المربد ماء مُسْتَنْجَلٌ فسيروه حتى ذهب، وأسسوا المسجد فجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مربع، ويقال: كان أقل من المائة، وجعلوا الأساس قريبًا من ثلاثة أذرع على الأرض

(١) البيهقي: دلائل النبوة: ٢/ ٥٤٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع: ١٠/ ٨٣، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٤٩٦، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢/ ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالحجارة، ثم بنوه باللبن وبنى رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل ينقل معهم الحجارة بنفسه، ويقول: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»، وجعل يقول: «هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر»، وجعل قبلته إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب: بابًا في مؤخره، وبابًا يقال له: باب الرحمة، وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة، والباب الثالث الذي يدخل فيه رسول الله ﷺ وهو الباب الذي يلي آل عثمان، وجعل طول الجدار بسطة وعمده الجذوع، وسقفه جريدًا، فقيل له: ألا تسقفه؟ فقال: «عريش كعريش موسى خشيبات وثمام الشأن أعجل من ذلك» وبنى بيوتًا إلى جنبه باللبن، وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بابه شارع إلى المسجد، وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان"[(١)].

## ثالثا: كتب تاريخ المدينة:

اهتم مؤرخو المدينة المنورة بتاريخ المسجد النبوي، ويعود لهم الفضل بعد الله في حفظ غالب النصوص المتعلقة بالمسجد النبوي، ويبرز:

١) **محمد بن الحسن ابن زبالة ت ١٩٩هـ**: أخباري نسّابة من تلاميذ مالك، ومن شيوخ الزبير بن بكار، له من الكتب كتاب: أخبار المدينة، وهو أقدم من أرخ للمدينة[(٢)].

(١) الطبقات الكبرى: ١/ ١٨٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) وفاء الوفا: ٢/ ٦٥، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان، ط١/ ١٤٢٢هـ.

وصفه السخاوي بالقول "مجلد ضخم"[١] ويظهر أنه قد رآه.

ومن خلال ما وصل إلينا من روايات ابن زبالة وخاصة عند ابن النجار[٢] والسمهودي[٣] الذي نقل عنه أكثر من (٦٠٠) رواية، ولعلها من طريق الزبير بن بكار راوي كتب ابن زبالة[٤]، وله عدة نسخ[٥]، يمكن التعرف على ما أورده عن المسجد النبوي الشريف وما يتعلق به من أمور، وغيره من مساجد المدينة وما حولها، وقد اشتمل على هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وأخذه لموضع مسجده الشريف بها وكيفية بنائه، وذرعه وما يتعلق به من أمور كتحويل القبلة، ومقام النبي ﷺ، وما كان من خبر الجذع والمنبر الذي كان يقف عليه، والحجرة الشريفة، وأساطين المسجد النبوي وأبوابه. كما اشتمل هذا الفصل على بحث موضوع توسعة المسجد النبوي والزيادة فيه وما أحدثه عمر بن عبد العزيز فيه أثناء توسعته بأمر الوليد بن عبد الملك. وما كان حوله من دور ومنازل[٦].

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ٢٧٤، تحقيق: فانز روزنثال، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) في كتابه: الدرة الثمينة.

(٣) قال: "وكذا في النسخة التي وقفت عليها من كتاب ابن زبالة". (١/ ٨١) "وكذا هو في نسخة ابن زبالة". وفاء الوفا: ٤/ ٣٢٧. وقال السمهودي أيضاً: "وفي بعض نسخ ابن زبالة". (خلاصة الوفا: ٢/ ٧١٩، طبعة السيد: حبيب محمود أحمد).

(٤) وفاء الوفا: ١/ ٨٠؛ الدرة الثمينة: ٦٠، تحقيق: صلاح الدين بن عباس شكر، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٥) وفاء الوفا: ٤/ ٤٤.

(٦) انظر في مواضع مختلفة من كتاب: وفاء الوفا: ٢/ ٢٧ - ٣٣٩.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢) **أبو غسان: محمد بن يحي الكناني المدني**، الذي توفي بعد سنة ٢٠٠هـ، الذي أهلته مهنته ليؤلف كتابًا عن أخبار المدينة، ويصبح أحد أهم مصادر المعلومات عن المدينة في ذلك الوقت المبكر.

كان أبو غسان يعمل كاتبًا في الدواوين، وكان أبوه كاتبًا، ولهذا يسمى بالكاتب، لأنه من بيت يمتهن الكتابة، فإضافة إلى مهنته ومهنة أبيه في الكتابة فقد كان عمه وجداه كُتّابًا(١).

وتبرز أهمية أبي غسان علاقته الوثيقة بالإمام مالك إمام دار الهجرة، فيصفه السمهودي: "وذكر أبو غسان صاحب مالك..."(٢).

ويقول عنه أبو زيد ابن شبة: "قال أبو غسان بن يحيى بن علي بن عبد الحميد كان عالمًا بأخبار المدينة، ومن بيت كتابة وعلم"(٣).

اهتم أبو غسان بالمسجد النبوي، وحفظت لنا النصوص التي نقلت عنه تفصيلات مهمة في المسجد النبوي، من حيث مواد البناء، ووصف المسجد، وذرع بعض جهاته، وحجرات أمهات المؤمنين، والكتابة على جدرانه(٤)، وإصلاح بعض

---

(١) المزي: تهذيب الكمال ٢٦/ ٦٣٦، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١/ ١٤٠٠– ١٩٨٠؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٩/ ٥١٨، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١/ ١٣٢٦هـ. قام بجمع مادته وقدم دراسة مستفيضة عنه: ياسر نور، بعنوان: (أخبار المدينة لأبي غسان)، جامعة طيبة، ط١/ ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م.

(٢) خلاصة الوفا: ٢/ ٤٠.

(٣) وفاء الوفا: ٢/ ٣٠٢.

(٤) انظر كتاب ابن شبة: أخبار المدينة، و: وفاء الوفا.

أخشاب سقفه سنة ١٩٣هـ[١].

يعود الفضل بعد الله في حفظ نصوص أبي غسان لابن شبة الذي استوعب في كتابه أخبار المدينة، ونقل ذلك عنه السمهودي، كما نجد نصوصاً لم تصل إلينا ولعلها فيما فقد من كتاب ابن شبه، ذكرها وكيع[٢]، وابن تيمية[٣]، والآقشهري[٤].

٣) **يحيى بن الحسن العلوي**، ويقصد فيه: العقيقي، له كتاب: **أخبار المدينة**[٥]، وقد اطلع السمهودي على عدة نسخ من كتاب العقيقي، فقد قال: "رأيت ذلك في نسخة يحيى التي رواها ابنه طاهر"[٦]؛ "وفي أخبار المدينة ليحيى الحسيني...في النسخة التي رواها ابنه طاهر بن يحيى"[٧]. "ورأيت في نسخة من كتاب يحيى تصوير القبور الشريفة على هذه الصفة"[٨].

قال السمهودي: "وابن زبالة ويحي عمدة في ذلك فإنهما أقدم من أرّخ للمدينة"[٩].

---

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٣٢٣.

(٢) المناسك: ٣٨٣،٣٨٥، ٤٠٣، تحقيق: حمد الجاسر، اليمامة، الرياض، ط١/ ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٣) الرد على الأخنائي: ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، القاهرة.

(٤) الروضة الفردوسية: ١/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان، ط١/ ٢٠١٠م.

(٥) قام الباحث: عبد العزيز بن عواض الجهني، بجمع مرويات العقيقي، ونال عليها درجة الماجستير، وقام مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة بنشرها عام ١٤٤٠هـ.

(٦) وفاء الوفا: ١/ ١٥٥.

(٧) وفاء الوفا: ١/ ٤٢٤؛ وانظر أيضًا: ١/ ٢،٣٦٧/ ٣١، ٣٧، ٤١.

(٨) وفاء الوفا: ٢/ ٣١٠.

(٩) المصدر السابق: ٢/ ٦٥.

٤) **عمر بن شبة**: المتوفى سنة اثنتين وستين ومائتين. له كتاب: **أخبار المدينة**

لقد بلغ هذا العالم سن التسعين حين وفاته، ومؤلفاته من أنفع الكتب وأهمها، وصارت كتبه إلى أبي الحسن علي بن يحيى ابتاعها من أبي طاهر بن عمر بن شبة، وله من الكتب: كتاب الكوفة، كتاب البصرة، كتاب المدينة، كتاب مكة، كتاب أمراء الكوفة، كتاب أمراء البصرة، كتاب أمراء المدينة، كتاب أمراء مكة.

قال السخاوي في ترجمة ابن شبة: "قال شيخنا -أي ابن حجر-: وقد كتب منه بخطه نسخة قال: إنه يُقطع من أواخر الأوراق شيء كثير، بيّض له في نسخته، ونقل منها صاحبنا نجم الدين بن فهد نسخة ما نصه: ولم أر أكثر جمعًا في هذا الباب منه"(١).

قال السخاوي عن كتابه أخبار المدينة: "وهو عند صاحبنا ابن فهد (في مكة) نقله من نسخة بخط شيخنا كانت عند ابن السيد عفيف الدين"(٢).

والذي يظهر أن هذه النسخة تختلف عن التي اطلع عليها السمهودي ووصلت إلينا، حيث قال السخاوي: "وابتدأ المصنف بفهرست ما اشتمل عليه الكتاب، وقد وقفت على النسخة المشار إليها، وفيه الشفاء لإيضاح الأمور أتم إيضاح، مع كونه من الأئمة الأثبات"(٣).

وقد اطلع السمهودي على نسخة تختلف عن المحفوظة لدى عائلة ابن فهد من كتاب أخبار المدينة لابن شبة، ونقل عنه: "ووقع في النسخة التي وقفت عليها

(١) التحفة اللطيفة: ٥/ ٣١٦.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ٣١٦.

(٣) المصدر السابق: ٥/ ٣١٧.

من كتاب ابن شبة..."[١].

"روى ابن شبة عن صحابي سقط اسمه من النسخة التي وقفت عليها حديثًا محصله..."[٢].

لقد وصل إلينا جزء من كتاب أخبار المدينة ابن شبة، وهو إن كان قد قدّم معلومات مهمة في بعض جوانب المسجد النبوي إلا أنه أغفل بشكل ملحوظ تفصيل عمارته في العهد النبوي، كما لم يشر من قريب أو بعيد لتوسعة وعمارة الخليفتين الراشدين عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولذا قال السمهودي:

"وأما ابن شبة فكان معاصرًا ليحيى وقبله بيسير، ولم أظفر من كتابه بهذا المحل المشتمل على ذكر المسجد، ولو ظفرت به لكان الشفاء؛ فإنه يوضح الأمور إيضاحًا تامًّا، وهو إمام ثقة"[٣].

وقال في موضع آخر: "فكان مالك بن أنس يقول".

"وسقط ما بعد ذلك من كتاب ابن شبة فلم أدر ما هو..."[٤].

٥) **كتاب: الدرة الثمينة في أخبار المدينة. المؤلف: ابن النجار** (ت٦٤٣هـ).

لا نعرف مؤلفًا في تاريخ المدينة بعد كتاب ابن شبة (أخبار المدينة) حتى زار أبو عبد الله محمد بن محمود النجار ت ٦٤٣هـ، المدينة ومكث فيها، وقام بتأليف

(١) وفاء الوفا: ٣/ ٤٠٩.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٢٨٥.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٦٥.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ٣٤٧.

كتابه المهم: (الدرة الثمينة في أخبار المدينة)، واعتمد فيه على مشاهداته وذلك لسبب ذكره فقال: "فإني لما دخلت مدينة النبي ﷺ، وأسعدت بزيارته، أقمت بها، فاجتمعت بجماعة من أهل الصلاح والعلم والفضل، المجاورين بها -وفقهم الله وإيانا-، فسألوني عن فضائل المدينة وأخبارها، فأخبرتهم بما تعلق بخاطري من ذلك، فسألوني إثباته في أوراق، فاعتذرت إليهم، بأن الحفظ قد يزيد وينقص، ولو كانت كتبي حاضرة، لقد كنت أجمع كتابًا في ذلك شافيًا لما في النفس، فألحوا عليَّ، وقالوا: تحصيل اليسير خير من فوات الكثير، وهذه مع شرفها قد خلت ممن يعرف من أخبارها شيئًا، ونحن نحب أن يكون لك بها أثر صالح تذكر به، فأجبتهم إلى ذلك... استخرت الله، وأثبت في هذا الكتاب ما تيسر من ذلك بعون الله وحسن توفيقه، وذكرت أكثره بغير إسناد؛ لتعذر حضور أصولي..." (١).

نقل ابن النجار عن أهل السير تفصيلات عمارة عثمان بن عفان رضي الله عنه: خطب الناس، وقال: إني أردت أن أهدم مسجد رسول الله ﷺ ... فحسّن الناس ذلك ودعوا له، فباشر العمل بنفسه، وابتدأ الهدم في ربيع الأول سنة تسع وعشرين، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال محرم سنة ثلاثين، وكان عمله عشرة أشهر (٢).

وزاد في القبلة إلى كوضع الجدار اليوم، وزاد في المغرب أسطوانًا بعد المربعة، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعًا، ولم يزد فيه من المشرق شيئًا، وبناه بالحجارة المنقوشة

(١) الدرة الثمينة: ٥٧-٥٨، تحقيق: صلاح الدين بن عباس شكر، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١/ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٩.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والقَصّة وخشب النخل والجريد، وبيّضه بالقَصّة، وجعل فيه طيقانًا مما يلي المشرق والمغرب، وبنى المقصورة بلبن وجعل فيها كوّة ينظر الناس منها إلى الإمام(١).

وجعل عمده من حجارة منقوشة حشوها أعمدة الحديد والرصاص، وسقفه بالساج، وجعل طول المسجد الشريف ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه ستة على ما كان على عهد رسول الله ﷺ، باب عاتكة، والباب الذي يليه، وباب مروان، وباب النبي ﷺ، وبابين في آخره(٢).

ثم تحدث بالتفصيل عن عمارة الأمويين للمسجد النبوي(٣)، ثم زيادة المهدي(٤).

كما يتميز ابن النجار بأنه الوحيد الذي كتب عن المسجد النبوي بالتفصيل قبل الحريق العظيم للمسجد عام ٦٥٤هـ، فتبقى مشاهداته على درجة من الأهمية

---

(١) الدرة الثمينة: ٣٠٩.

(٢) ابن النجار: الدرة الثمينة: ٣٠٩-٣١٠، ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمدينة المنورة: ٢٨١، تحقيق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

قد نقل هذا النص من ابن النجار وقال: "في صحيح البخاري" وقد يكون وهم، حيث إن ابن النجار قال: "ذكر زيادة عثمان بن عفان ﷺ فيه.

روى البخاري في ((الصحيح)) أن عثمان ﷺ زاد في المسجد زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج. وذكر أهل السير: أن عثمان ﷺ لما ولي الخلافة سنة أربع وعشرين، سأله الناس أن يزيد في مسجدهم، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة حتى إنهم ليصلون في الرحاب...".

(٣) المصدر السابق: ٣١٢ - ٣٢٠.

(٤) المصدر السابق: ٣٢١ - ٣٢٥.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في وصف المسجد النبوي في تلك الفترة مع استيعابه لكل من كتب قبله ولم تصلنا مصنفاتهم.

كما يتميز بتوضيح نفقات المسجد في كلا الدولتين، وبعض الأمور واللطائف المهمة:

ومما شاهده ونقله:

وكتب عمر في القبلة في صحن المسجد في الفسيفساء ما نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون: أمر عبد الله أمير المؤمنين بتقوى الله وطاعته والعمل بكتاب[١] ....

"قالوا: ولما قدم الوليد بن عبد الملك حاجًّا بعد فراغ عمر بن عبد العزيز من المسجد؛ جعل يطوف فيه وينظر إلى بنيانه، فقال لهم حين رأى سقف المقصورة: ألا عملت السقف مثل هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ إذًا تعظم النفقة جدًّا، قال: وإن!، قال: أتدري كم أنفقت على عمل جدار القبلة وما بين السقفين؟ قال: وكم؟ قال: خمسة وأربعين ألف دينار، وقال بعضهم: أربعين ألف دينار، قال: والله لكأنك أنفقتها من مالك.

قال: وكانت النفقة في ذلك أربعين ألف مثقال"[٢].

وفي زيادة العباسيين ينقل هذا النص المهم:

(١) الدرة الثمينة: ٣٢٤.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٥.

"قالوا: وكتب على أثر الكتاب الذي كتبه عمر بن عبد العزيز في صحن المسجد ما نسخته: أمر عبد الله المهدي أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة في مسجد رسول الله ﷺ، وإحكام عمله ابتغاء وجه الله -عَزَّوَجَلَّ- والدار الآخرة، فأحسن الله ثوابه بأحسن الثواب، والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وانتَابَهُ من جميع المسلمين، فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسبته في ذلك، وأحسن ثوابه. ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [سورة الفاتحة:١]، ثم كتب أم القرآن كلها، ثم كتب على أثرها: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:١٨] الآية كلها، ثم كتب: وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ في سنة اثنتين وستين ومائة، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة، فأمير المؤمنين أصلحه الله، يحمد الله على ما أدركه واختصه به من عمارة مسجد رسول الله ﷺ وتوسعته حمدًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين على كل حال"(١).

"وعرضُ منقبة جدار المسجد مما يلي المغرب ذراعان ينقصان شيئًا، وعرض منقبته مما يلي المشرق ذراعان وأربع أصابع وهو أعرضها لأنه من ناحية السيل.

وفي صحن المسجد أربع وستون بلاّعة، عليها أرحاء، ولها صمائم من حجارة، يدخل الماء من أصمامها"(٢).

ويوضح الإصلاحات التي تمت في عهد هارون الرشيد فيقول:

"كان أبو البختري: وهب بن وهب القاضي واليًا على المدينة لهارون أمير

(١) الدرة الثمينة: ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٣ - ٣٢٤.

المؤمنين، فكشف سقف المسجد في سنة ثلاث وتسعين ومائة، فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة، فأدخل مكانها خشبًا صحاحًا، وكان المطر إذا كثر في صحن المسجد يغشى قبلة المسجد؛ فجعل بين القبلة والصحن لاصقًا حجارًا من حجاره من المربعة التي في غربي المسجد إلى المربعة التي في شرقيه تلي القبر؛ تمنع الماء من الصحن، ومنع حصباء القبلة أن تصير إلى الصحن"(١).

ويورد وصفًا للمنبر ويذكر طوله:

"وطولُ منبر النبي ﷺ ذراعان وشبر وثلاث أصابع، وعرضُهُ ذراعٌ راجحٌ، وطولُ صدره -وهو مستند النبي الله ﷺ- ذراع، وطول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكها النبي الله ﷺ إذا جلس يخطب شبرٌ وإصبعان، وطول المنبر اليوم ثلاثةُ أذرعٍ وشبرٌ وثلاث أصابع، والدكة التي هو عليها طولها شبر وعقد، ومن رأسه إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع، وقد زيد فيه اليوم عتبتان، وجُعِلَ عليه بابٌ يُفْتَحُ يوم الجمعة، ولم يزل الخلفاءُ إلى يومِنا هذا يرسلونَ في كُلِّ سنةٍ ثوبًا مِنَ الحرير الأسود، وله عَلَمُ ذَهَبٍ يُكْسى به المنبر، ولَمَّا كثُرَتْ الكسوةُ عنْدهم أخذوها فجعلوها ستورًا على أبوابِ الحرم"(٢).

كما ينقل عن ابن زبالة وضع السقايات في المسجد ويصف حالها حين مشاهدته لها:

"كان في صحن مسجد رسول الله ﷺ تسع عشرة سقاية إلى أن كتبنا كتابنا

(١) الدرة الثمينة: ٣٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٢٧٠ – ٢٧١.

هذا في صفر سنة تسع وتسعين ومائة، منها ثلاث عشرة أحدثتْهَا خالصة، وهي أولُ مَنْ أَحْدَثَ ذلك، ومنها ثلاثُ سقاياتٍ لزيدِ البربري مولى أميرِ المؤمنين، ومنها سقايةٌ لأبي البختري وهب بن وهب، وسقاية لشرة أم ولد هارون أمير المؤمنين، وسقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبي جعفر.

قلت: وأما الآن فليس في المسجد سقاية إلا في وسطه بركة كبيرة، مبنية بالآجر والجص والخشب، ينزل الناس إليها بدرج أربع في جوانبها، والماء ينبع من فوارة في وسطها يأتي من العين، ولا يكون فيها الماء إلا في أيام الموسم إذا جاء الحاج، وبقية السنة تكون فارغة، عملها بعض الأمراء بالشام، واسمه شامة، وعملت الجهة أم الخليفة الناصر لدين الله، وفقها الله توفيقًا سديدًا في مؤخر المسجد سقايةً كبيرةً فيها عدة من البيوت، وحفرت لها بئرًا، وفتحت لها بابًا إلى المسجد في الحائط الذي يلي الشام، وهو يُفْتَحُ في أيام الموسم"[(١)].

ثم ذكر ذرع المسجد اليوم وعدد أساطينه وطيقانه وأبوابه وذكر تجديد عمارته وما يتعلق به من الرسوم.

وقام ابن النجار بقياس أطوال المسجد بخيط فقال:

"طولُ المسجدِ اليوم مِنْ قِبْلَتِهِ إلى الشام مئتا ذراع وأربعٌ وخمسون ذراعًا وأربعُ أصابع، ومِنْ شرقيِهِ إلى غربيِهِ مائة ذراع وسبعون ذراعًا شافة، وطول رحبته من القبلة إلى الشام مائة ذراع وتسعُ وخمسون ذراعًا وثلاثُ أصابع، ومن شرقيه إلى غربيه سبعٌ وتسعون ذراعًا راجحة، وطولُ المسجدِ في السماءِ خمسٌ وعشرون

(١) الدرة الثمينة: ٣٣١ – ٣٣٢.


المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ذراعًا، هذا ما ذرعتُهُ أنا بخيط"[١].

"وطول المسجد في السماء خمس وعشرون ذراعًا، وطول منائره خمس وخمسون ذراعًا، وعرضُهُنَّ ثمانية أذرع في ثمانية أذرع.

وأَمَّا طيقانُهُ؛ ففي القبلةِ إحدى عشرة طاقة، وفي الشام مثلُها، وفي المشرقِ والمغربِ تسع عشرة طاقة، وبينَ كل طاقٍ وطاقٍ أُسطوان، ورؤوسُ الطاقاتِ مَسدودةٌ بشبابيكَ مِنْ خَشَب.

وأَمَّا عددُ أساطينِهِ غير التي في الطيقان؛ ففي القبلة ثمان وستون أسطوانًا، منها في القبر أربع، وفي الشام مثلُها، وفي المشرق أربعون أسطوانًا، منها اثنان في الحجرة، وفي المغربِ ستون أسطوانًا، وبينَ كلِ أسطوانٍ وأُسطوانٍ تسعةُ أذرع"[٢].

في المشرق ثمانية أبواب، منها ما هو باق إلى يومنا هذا باب عثمان، والباب المقابل لدار رَيْطَة، وفي الشام أربعة أبواب: الأول حذاء دار شرحبيل بن حسنة، والرابع: حذاء بقية دار عبد الله بن مسعود، وليس منها شيء مفتوح في يومنا هذا[٣].

"وفي المغربِ سبعةُ أبواب: الخامسُ منها باب عاتكة، والسادس باب زياد، والسابع باب مروان، وليس منها شيء مفتوح في يومنا هذا إلا باب عاتكة، ويعرف الآن بباب الرحمة، وبابُ مروان وهو الذي يلي دار الإمارة، وفي دارِ مروان بابٌ إلى المسجد باق على حالِهِ إلى الآن"[٤].

(١) الدرة الثمينة: ٣٣٢.
(٢) المصدر السابق: ٣٣٣.
(٣) المصدر السابق: ٣٣٤.
(٤) المصدر السابق: ٣٣٤.

"ولم يزل الخلفاء من بني العباس -رضي الله عنهم- ينفذون الأمراء على المدينة، ويمدونهم بالأموال لتجديد ما ينهدم من المسجد، ولم يزل ذلك متصلًا إلى أيام الناصر لدين الله، فإنه يُنْفِذُ في كلِّ سنةٍ من الذهبِ العين الإمامي ألف دينار لأجل عمارة المسجد، وَيُنْفِذُ عدةً من النَّجارين والبنائين والنقاشين والمزوقين والجصاصين والحراقين والحدادين والدوزجارية[1] والحمالين، وتكون مادتهم ما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الألف المذكورة، ويُنْفِذُ من الحديد والرصاص والأصباغ والحبالِ والآلاتِ شيئاً كثيراً، ولا تَزالُ العمارةُ متصلة في المسجد ليلاً ونهارًا، حتى إنه ليس به إصبع إلا عامر"[2].

"وأما الرسوم التي تصل من الديوان لغيرِ العمارةِ فأربعة آلاف دينار من العين الإمامية للصدقات على أهل المدينة منَ العلويين وغيرهم، وَيُنْفِذُ مِنَ الثيابِ القطنِ ألفاً وخمسمائة ذراع لأجلِ أكفانِ مَنْ يَموت مِنَ الفقراءِ الغربَاء، هذا غير ما يُنْفَذُ للخطيب، وَيُنْفِذُ مِنَ القناديل والشيرج[3] والشمع عِدّة أحمالٍ لأجل المسجد ولإمام الروضة وللمؤذنينَ، وَيُنْفَذُ من النَّد والغالية المركبة والعود لأجلِ تجميرِ المسجدِ، ولخادمِ المسجد، وذكر يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبي ﷺ كان يحمل من الشام، حتى انقطع في ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة، فجعله على سوق المدينة، فلما ولي المدينة داود بن عيسى سنة ثمان وسبعين ومائة أخرجه من

(١) كلمة فارسية معربة معناها الخياطين.

(٢) الدرة الثمينة: ٣٣٦.

(٣) شِيرج و: سيرج: دهن السمسم.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بيت المال"[١].

"وفي يومِنا هذا يصلُ الزيتُ مِنْ مِصْرَ مِنْ وقوفٍ هناك، ومقدارُهُ سبعة وعشرون قنطارً بالمصري، والقنطارُ مائة وثلاثون رطلًا، وَيَصِلُ مَعَهُ مائة وستون شمعةً بيضًا كبارًا وصغارًا، وعلبة فيها مائة مثقال نَّد"[٢].

كما فصّل في وصف الحجرة النبوية وأبعادها، فمن الحجرة إلى المقصورة (١٩) ذراعًا، ومن المقصورة إلى الحائط (٩) أذرع، ومن المغرب إلى المسمار المقابل لوجه النبي ﷺ خمسة أذرع[٣].

وقد أوضح الاصلاحات التي تمت على جدار الحجرة النبوية في العصر العباسي فقال:

"ولما ولي المتوكل[٤] الخلافة أمر إسحاق بن سلمة -وكانَ على عمارةِ مكةَ والمدينة مِن قبلِهِ- بأنْ يأزِرَ الحجرةَ بالرخام مِنْ حولِها، ففعلَ ذلكَ، وبقيَ الرخامُ عليها إلى سنةِ ثمانٍ وأربعينَ وخمسمائة في خلافةِ المقتفي، فَجَدَّدَ تأزيرَها جمالُ

(١) الدرة الثمينة: ٣٢٦ – ٣٣٧.

(٢) المصدر السابق: ٣٣٧.

(٣) المصدر السابق: ٤١٧ – ٤١٨.

(٤) المتوكل على الله الخليفة جعفر بن المعتصم بالله الخليفة، أبو الفضل جعفر ابن المعتصم بالله محمد ابن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور القرشي، العباسي.
ولد: سنة (٢٠٥هـ). وبويع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجة، سنة (٢٣٢هـ)، أظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها، وكان المتوكل جوادًا مُمَدَّحًا لعابًا، اغتاله الجند الأتراك سنة (٢٤٧هـ). (سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٣٠).

الدين[١] وزيرُ بني زنكي، وجعلَ الرخامَ حولَها قامةً وبسطة، وعملَ شباكًا من خشبِ الصندلِ والأبنوس، وأداره حولها مكتوبًا على أقطاع الخشب الأروانك سورةَ الإخلاص صنعةً بديعةً"[٢].

ثم بيَّن كساء الحجرة بالحرير وقال مسجلًا مشاهدته:

"في يومنا هذا على الحجرة ثلاث ستائر، بعضهن على بعض، وفي سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة، على رأس الزوار إذا وقفوا معلق نيف وأربعون قنديلًا كبارًا وصغارًا من الفضة المنقوشة والساذجة، وفيها اثنان بلور، وواحد ذهب، وفيها قمر من فضة مغموس في الذهب، وهذه تنفذ من البلدان من الملوك وأرباب الحشمة والأموال، واعلم أن على حجرة النبي ﷺ ثوبًا مشمعًا مثل الخيمة، وفوقه سقف المسجد، وفيه خوخة عليها ممرق مُقَفَّل، وفوق الخوخة في سقف السطح خوخة أخرى فوق تلك الخوخة، وعليها ممرق مقفَّلٌ أيضا، وحولها في سطح المسجد حظيرة مبنية بالآجر والجص تميز الحجرة عن السطح بقليل، وبين سقف المسجد وبين سقف السطح فراغ نحو الذراعين، وعليه شبابيك حديد يرى

(١) الجواد، وهو محمد بن علي بن منصور، أبو جعفر الأصفهاني، ويلقب: بالجمال الموصلي.
كان وزيرًا لصاحب الموصل، كثير المعروف دائم الصدقات، وله آثار حميدة عظيمة بمكة والمدينة فأحكم أبواب الحرم وبنى لها عتبًا عالية وأجرى عينا إلى عرفات، وكانت صدقته تصل كل سنة إلى أهل بغداد فيعم بها الفقهاء والزهاد وصلي على جنازته ببغداد، ثم حملت إلى مكة فطيف بها ثم إلى المدينة ودفن في الرباط الذي عمره بين قبر رسول الله ﷺ وبين البقيع فليس بينه وبين قبر رسول الله ﷺ إلا أذرع. (المنتظم: ١٨/ ٦١).

(٢) الدرة الثمينة: ٤١٣ – ٤١٤.


المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الضوء منها إذا أرادوا الدخول إلى هناك من رحبة المسجد لأجل تعليق سلاسل القناديل وحبال الأباريز لأجل العمارة في المسجد"[١].

## رابعاً: كتب التاريخ العام:

وأما كتب التاريخ العام فلم تقدم معلومات مفصلة عن تاريخ المسجد النبوي، ولعل موضوع التاريخ الكبير وتناوله للسياسة والحروب جعل الاهتمام ببناء المسجد وما يتعلق به يكتب على وجه الاختصار.

١) **المؤلف**: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُرِي (المتوفى: ٢٧٩هـ).

**كتاب: فتوح البلدان.**

يعتبر البلاذري أهم المؤرخين المتقدمين الذي قدم تفصيلًا للمسجد النبوي وتاريخ عمارته حتى عهده:

فبعد حديثه عن مراحل بناء المسجد، قال:

"إلى أن وليَ الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه فكتب إلى عمر بن عبد العزيز وهو عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعًا من الروم والقبط من أهل الشام ومصر فبناه وزاد فيه وولى القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان[٢] مولى سعدى مولاة آل معيقيب ابن

(١) الدرة الثمينة: ٤١٦ – ٤١٧.

(٢) صالح بن كيسان المدني المؤدب الإمام، الحافظ، الثقة، أبو محمد –ويقال: أبو الحارث– المدني، المؤدب، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز. يقال: مولى بني غفار، ويقال: مولى بني عامر، ويقال: مولى آل معيقيب الدوسي، كان ثقة، كثير الحديث، مات بعد سنة (١٤٠هـ). (سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٥٥).

أَبِي فاطمة الدوسي وذلك في سنة سبع وثمانين، ويقال في سنة ثمان وثمانين ثم لم يحدث فيه أحد من الخلفاء شيئًا حتى استخلف المهدي أمير المؤمنين صلاة الله عليه. قال الواقدي: بعث المهدي عبد الملك بن شبيب الغساني ورجلًا من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها والزيادة فيه وعليها يومئذ جعفر بن سليمان بن علي[١]، فمكثا في عمله سنة وزادا في مؤخره مائة ذراع فصار طوله ثلاثمائة ذراع وعرضه مائتا ذراع. وقال علي بن محمد المدائني: ولي المهدي أمير المؤمنين جعفر بن سليمان مكة والمدينة واليمامة فزاد في مسجد مكة ومسجد المدينة، فتم بناء مسجد المدينة في سنة اثنين وستين ومائة، وكان المهدي أتى المدينة في سنة ستين قبل الحج فأمر بقلع المقصورة وتسويتها مع المسجد، ولما كانت سنة سبع وأربعين ومائتين أمر أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمرمة مسجد المدينة، فحمل إليه فسيفساء كثير وفرغ منه في سنة سبع وأربعين ومائتين"[٢].

ونلاحظ هنا إغفاله لعمارة المأمون التي أشارت إليها بعض المصادر مثل:

٢) **المؤلف**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ).

**كتاب: المعارف**

لقد أورد معلومات دقيقة ودوّن مشاهداته فقال ما يلي:

"... وزاد فيه «المأمون» زيادة كثيرة ووسعه.

---

(١) جعفر بن سليمان بن علي ابن حبر الأمة عبد الله بن عباس، الأمير، سيد بني هاشم، أبو القاسم العباسي، ابن عم المنصور. كان من نبلاء الملوك جودًا وبذلًا، وشجاعة وعلمًا، وجلالة، وسؤددًا، ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد، توفي سنة (١٧٤هـ). (سير أعلام النبلاء: ٨/ ٢٣٩).

(٢) فتوح البلدان: ١/ ١٦، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط/ ١٩٨٨ م.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمؤذّنون فيه من ولد «سعد القرظ» مولى «عمّار بن ياسر».

وقرأت على موضع زيادة «المأمون»: «أمر عبد الله، بعمارة مسجد رسول الله -ﷺ- سنة اثنتين ومائتين، طلب ثواب الله، وطلب جزاء الله، وطلب كرامة الله، فإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة، وكان الله سميعًا بصيرًا..."[١].

٣) **اسم المؤلف**: المطهر المقدسي (ت٣٥٥هـ)

**كتاب: البدء والتاريخ**

يهمنا من هذا الكتاب نصٌّ مهمٌ يبين أن لا جديد أضيف في المسجد النبوي حتى تأليفه لكتابه:

"...ثم زاد فيه المهدي ثم المأمون بعده فهو اليوم على ما فعله المأمون"[٢].

٤) **اسم المؤلف**: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

**كتاب الأمم والملوك (تاريخ الطبري).**

يقدم شيخ المؤرخين معلومات مهمة عن بناء المسجد النبوي، من طريق الواقدي وبالتأكيد أنها من أحد كتابيه: الطبقات، والتاريخ الكبير[٣].

"وفيها (سنة ٨٦هـ) أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله ﷺ وهدم بيوت أزواج رسول الله ﷺ وإدخالها في المسجد، فذكر محمد بن عمر، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال: رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك

(١) المعارف: ٥٦٢، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢/ ١٩٩٢م.

(٢) البدء والتاريخ: ٤/ ٨٧، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

(٣) الفهرست: ١١١، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط٢/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

قدم في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين، قدم معتجرًا، فقال الناس: ما قدم به الرسول! فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له: قدم القبلة إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أخوالك، فإنهم لا يخالفونك، فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان، فإن لك في ذلك سلف صدق، عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده، فأجاب القوم إلى الثمن، فأعطاهم إياه، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي ﷺ وبناء المسجد، فلم يمكث إلا يسيرًا حتى قدم الفعلة، بعث بهم الوليد.

قال محمد بن عمر: وحدثني موسى بن يعقوب، عن عمه، قال:

رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس: القاسم، وسالم، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وعبد الله بن عبد الله بن عمر، يرونه أعلامًا في المسجد ويقدرونه، فأسسوا أساسه.

قال محمد بن عمر: وحدثني يحيى بن النعمان الغفاري، عن صالح بن كيسان، قال: لما جاء كتاب الوليد من دمشق وسار خمس عشرة بهدم المسجد، تجرد عمر بن عبد العزيز، قال صالح: فاستعملني على هدمه وبنائه، فهدمناه بعمال المدينة، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي ﷺ حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد.

قال محمد: وحدثني موسى بن أبي بكر، عن صالح بن كيسان، قال: ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله ﷺ في صفر من سنة ثمان وثمانين، وبعث الوليد إلى صاحب

الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله ﷺ، وأن يعينه فيه، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب، وبعث إليه بمائة عامل، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملًا، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت، فبعث بها إلى الوليد، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز"(١).

"قال محمد بن عمر وقدم بطيب مسجد رسول الله ﷺ ومجمره وبكسوة الكعبة فنشرت وعلقت على حبال في المسجد من ديباج حسن لم ير مثله قط فنشرها يومًا، وطوي ورفع"(٢).

وأورد توسعة المهدي باقتضاب فقال:

"ووسع في مسجد رسول الله ﷺ وأمر بنزع المقصورة التي في مسجد الرسول ﷺ فنزعت، وأراد أن ينقص منبر رسول الله ﷺ فيعيده إلى ما كان عليه ويلقي منه ما كان معاوية زاد فيه، فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور في ذلك: فقيل له: إن المسامير قد سلكت في الخشب الذي أحدثه معاوية وفي الخشب الأول وهو عتيق فلا نأمن إن خرجت المسامير التي فيه وزعزعت أن يتكسر فتركه المهدي"(٣).

وأورد فعل المهدي تجاه الكتاب الذي في المسجد بالفسيفساء وفيه مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك...

"حتى ولي المهدي فدخل مسجد رسول الله ﷺ فرفع رأسه فنظر فرأى اسم

(١) الأمم والملوك: ٣/ ٦٧٦ – ٦٧٧، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤٠٧هـ.
(٢) المصدر السابق: ٤/ ١٠.
(٣) المصدر السابق: ٤/ ٥٥٨.

الوليد فقال: وإني لأرى اسم الوليد في مسجد رسول الله ﷺ إلى اليوم!، فدعا بكرسي فألقي له في صحن المسجد، وقال: ما أنا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمي مكانه، وأمر أن يحضر العمال والسلاليم وما يحتاج إليه، فلم يبرح حتى غير وكتب اسمه"[1].

## خامساً: كتب الأدب:

### ١- كتاب: العقد الفريد

**المؤلف**: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ).

يقدم ابن عبد ربه وصفًا مهمًّا للعمارة الأموية والعباسية فيقول عن المسجد النبوي:

"بلاطاته في قبلته معترضة من المشرق إلى المغرب، في كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عمودًا، ما بين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة، والعمد التي في البلاطات القبلية بيض مجصّصة شاطّة جدًّا، وسائر عمد المسجد رخام؛ والعمد المجصّصة على قواعد عظيمة مربعة، ورؤوسها مذهبة عليها نجف منقشة مذهبة، ثم السماوات على النجف، وهي أيضًا منقشة مذهبة؛ وقبالة المحراب مُوسَطة البلاطات، بلاط مذهب، كله شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب ولا يشقه، وفي البلاط الذي يلي المحراب تذهيب كثير، وفي موسطته سماء كالترس المقدّر مجوّف كالمحار، مذهب؛ وقد أخذ وجه السور القبلي من داخل المسجد بإزار رخام من أساسه إلى قدر القامة منه، ولف على الإزار

(١) الأمم والملوك: ٤/ ٥٨٩.

بطوق رخام في غلظ الأصبع، ثم من فوقه إزار دونه في العرض مخلّق بالخلوق، ثم فوقه إزار مثل الأوّل فيه أربعة عشر بابًا في صف من الشرق إلى الغرب في تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة، منقشة مذهبة، ثم فوقه إزار رخام أيضًا؛ فيه صنيفة سماوية فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين غلظه قدر أصبع، من سور قصار المفصّل، ثم فوقه إزار رخام مثل الأوّل الأسفل، فيه ترسة من ذهب منقشة، وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافاته قضبان من ذهب، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفة منقشة، عرضها مثل عظم الذراع، لها قضبان وأوراق من ذهب، ثم فوقه إزار فسيفساء عريض، ثم السماوات عليه؛ والمحراب في موسطة السور القبلي، على قوسه قصّة من ذهب ناتئة غليظة، في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها.

وقبو المحراب مقدّر جدًّا، وفيه دارات بعضها مذهبة وبعضها حمر وسود، وتحت القبو صنيفة ذهب منقشة، تحتها صفائح ذهب مثمنة، فيها جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة؛ ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلّق بالخلوق، فيه الوتد الذي كان النبي ﷺ يتوكأ عليه في المحراب الأوّل عند قيامه من السجود فيما ذكر، والله أعلم.

وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج، وعن يساره باب صغير مشطرج، قد سدّ بعوارض من حديد، وبين هذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف.

والمقصورة من السور الغربي لاصقة بالباب إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقي، ومن هذا الفصيل يصعد إلى ظهر المسجد، وهي قديمة مختصرة العمل، لها شرفات وأربعة أبواب، وخارج المقصورة قريب منها عن يسار المحراب سرب في الأرض يهبط فيه درج يفضي منها إلى دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والمنبر عن يمين المحراب في أول البلاط الثالث من المحراب في روضة مفروشة من الرخام مجوز حولها به، وله درج، وسمر في أعلاه لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يجلس عليها، وهو مختصر، ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن، والجذع أمام المنبر، وشرقي المنبر تابوت يستر به مقعد رسول الله ﷺ.

وقبره صلوات الله عليه وسلامه عليه بشرقي المسجد في آخر مسقّفه القبلي مما يلي الصحن، بينه وبين السور الشرقي مثل عشرة أذرع، قد حظر حوله بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاثة أذرع، وله ستة أركان، ولبّس بإزار رخام أكثر من قامة، وما فوق القامة مخلق بالخلوق.

قال رسول الله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة؛ ومنبري على ترعة من ترع الجنة».

وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حجر محجور لئلا يمشى عليه، والبلاطات الجنوبية خمس والغربية أربع، منتظم بعضها فوق بعض في طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ثمانية عشر عمودًا، وحنايا المسجد كلها مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد بخشب منقش.

وللمسجد ثلاث منارات: اثنتان للجنوب وواحدة للمشرق؛ وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء، أولها وآخرها، وله ثمانية عشر بابًا، عتبها مذهبة، وهي أبواب عظيمة لا غلق عليها، أربعة منها في الجنوب، وسبعة في الشرق، وسبعة في الغرب.

وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر، ووجه سور المسجد كله من خارج منقش بالكذّان[١]، وكذلك الشرفات"[٢].

## سادساً: كتب: الفهارس.

### ١) كتاب: الفهرست.

**المؤلف**: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ).

بعدما تحدث عن خطوط المصاحف.

نقل عن محمد بن إسحاق أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهياج رأيت مصحفًا بخطه وكان سعد نصبه لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي ﷺ بالذهب من ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [سورة الشمس] ويكنى أبا يحيى وكانت تكتب المصاحف بأجرة ومات سنة ثلاثين ومائة[٣].

## سابعاً: كتب البلدان:

### ١) الكتاب: الأعلاق النفيسة.

**المؤلف**: أحمد بن عمر ابن رُستَه.

---

(١) الكَذّانُ: حجارة فيها رخاوة ليست صلبة كأنها المدر، وربما كانت نخرة. (تهذيب اللغة: ٩/ ٣٢٦).

(٢) العقد الفريد: ٧/ ٢٨٨ – ٢٩٠، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤٠٤هـ.

(٣) الفهرست: ١٧.

قدم ابن رُستَه وصفًا لمشاهداته في المسجد النبوي عام ٢٩٠هـ[١]، وتعد مشاهدات ابن رُستَه في غاية الأهمية حيث وصف المسجد بعمارته الأموية وتحسينات العباسيين عليه.

ذكر أن الكتاب الذي كتبه عمر بن عبد العزيز في قبلة المسجد وفيه بعض قصار سور القرآن، تم تغييره في أوائل العهد العباسي على يد أحد موالي المدينة واسمه ابن غزالة وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم...ووضع الأخماس في موضعها..."[٢].

وقام ابن رُستَه بنقل الكتابات التي حول صحن المسجد فوق الطاقات وتحت الشرفات[٣].

كما أوضح أن مسجد رسول الله ﷺ الذي كان في عهده قد عُلّم بأربع طاقات في الشق الغربي معمولات بالفسيفساء خضر كلهن، وفي القبلة الطاقات مشدودة بالساج، وبين باب النبي ﷺ وباب عثمان مكتوب صفحة الجدار بالفسيفساء بينه وبين المرمر من الداخل: مما أمر به عبد الله هارون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه على يد إبراهيم بن محمد ..."[٤].

ويورد نصًّا مهما عن تجديد المعتضد بالله عمارته للمسجد النبوي عام ٢٨٢هـ[٥].

"وفي مواضع من المسجد وأبوابه من داخل وخارج كتابات كثيرة لم نكتبها

(١) الأعلاق النفيسة: ٧٣، ٧٥، ليدن، هولندا، ١٨٩١م.
(٢) المصدر السابق: ٧٠ – ٧١.
(٣) المصدر السابق: ٧٣ – ٧٤.
(٤) المصدر السابق: ٧٥.
(٥) المصدر السابق: ٧٤.


المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إيثارًا للاختصار"[١].

كما ذكر ابن رُستَه بلاليع المسجد وسقاياته التي لم تزد منذ عام ١٩٩هـ ووصفها، فقال:

"وفي المسجد ٦٤ بالوعة عليها أرحاء، ولها صمائم من حجارة يدخل الماء من أضعافها، وفي صحن المسجد تسع عشرة سقاية هذا إلى صفر، منها ثلاث عشرة أحدثتها خالصة وكانت أول من أحدثت ذلك، ومنها ثلاث سقايات لزيد البربري مولى أمير المؤمنين، ومنها سقاية لأبي البختري وهب بن وهب، ومنها سقاية لشجر أم ولد هارون أمير المؤمنين، ومنها سقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن جعفر"[٢].

كما بيّن مساحة مسجد رسول الله ﷺ قبل التوسعات، فطوله من القبلة إلى حدّه الشامي (٥٤) ذراعًا، وطوله من الشرق إلى حدّه الغربي (٦٣) ذراعًا، بمساحة اجمالية قدرها (٣٤٤٠) ذراعًا[٣].

وعدد شُرف المسجد مما يلي القبلة (٢٢) شرفة، ومما يلي الشام (٢٨) شرفة، ومما يلي المشرق (٤٨) شرفة، ومما يلي المغرب (٤٥) شرفة[٤].

وأما طول المسجد في عهد ابن رُستَه فقد بلغ طوله من القبلة إلى حده الشامي (٢٤٠) ذراعاً، ومن المشرق إلى المغرب (١٦٥) ذراعًا[٥].

(١) الأعلاق النفيسة: ٧٥.
(٢) المصدر السابق: ٧٥.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق: ٧٦.
(٥) المصدر السابق: ٧٥ – ٧٦.

وعدد أساطين المسجد (٢٩٦)، وفي جدار القبلة (٣) أساطين[١].

وبيّن أن الرخام مفروش به مقدمة المسجد حتى منتصفه تقريبًا[٢]، وطول المنارة الشرقية اليمانية (٥٥) ذراعًا، والمنارة الشرقية الشامية (٥٠) ذراعًا، والمنارة الشامية الغربية (٥٣) ذراعًا، وعرض المنارات (٨) أذرع في (٨) أذرع[٣].

كما بين طول المنبر وأنه يبلغ ثلاث ونصف ذراع مع ما أضاف مروان، ويبلغ صافيه ذراعان طولًا، وعرضه ذراع في ذراع تربيعة، وعدد الدرجات (٩) درجات مع ما عمل مروان[٤]، وعدد درجات المنبر النبوي (٣) درجات خالصة دون الزياد، وفيه مما يلي ظهره ﷺ إذا قعد (٣) أعواد بدَد، ذهب إحداهن وانقلع آخر سنة ١٩٨هـ، وأمر به داود بن عيسى فأعيد[٥].

ومما عمله مروان لحائط المنبر (١٠) أعواد لا يتحركن، وفي المنبر من أسفله إلى أعلاه فتحات مستديرة من جوانبه الثلاث، وفي الخشب الذي عمل مروان قبل المشرق (١٨) فتحة مستديرة شبه مربعة، ومن المغرب (١٨) فتحة مستديرة شبه مربعة[٦].

وعدد قناديل المسجد (٢٩٠) قنديلًا، وعدد طاقات المسجد (١٢) من جهة القبلة، ومن جهة الشام (١٢)، ومن جهة المشرق (١٩). ولم يذكر طاقات الغرب

(١) الأعلاق النفيسة: ٧٦.
(٢)المصدر السابق: ٧٥.
(٣) المصدر السابق: ٧٦.
(٤) المصدر السابق: ٧٦.
(٥) المصدر السابق: ٧٦.
(٦) المصدر السابق: ٧٦.

ويظهر أنه سقطت عند النسخ لأنه يقول بعد ذلك: "فذلك اثنان وستون طاقًا"[١].

وفي المسجد (٢٤) بابًا، من ناحية السوق (٨)، ومما يلي المغرب (٨) أبواب، ومما يلي الشام (٤) أبواب[٢].

ثم فصّل في أطوال مساحات مسجد النبي ﷺ وما بين أسطواناته والمنبر[٣].

٢) **كتاب: الطريق.**

**المؤلف: القاضي وكيع: محمد بن خلف بن حيّان (المتوفى:٣٠٦هـ).**

يقدم وكيع روايات مسنده عن أبرز علماء المدينة، إضافة إلى مشاهداته التي نقلها عن المسجد النبوي، واستيعابه للكتابات القرآنية والتأسيسية المكتوبة على جدران المسجد النبوي.

ولعل المفيد فيما نقله وكيع عن المسجد النبوي المقارنة بين ما ذكره من أعداد ومساحات مقارنة بما أورده ابن رُسته، وهنا نجد التشابه والتطابق الكبير فيما أورداه ولعل ذلك يعود لقرب الفترة التي عاشا فيها، وسأذكر هنا الاختلاف مع ابن رُسته، فيقول عن عرض المسجد: من مقدمه في القبلة من المشرق إلى المغرب (١٦٥) ذراعًا، وعرضه من مؤخرة المسجد (١٣٠) ذراعًا، ينقص مؤخره عن مقدمه (٣٥) ذراعًا، وطول المسجد من اليمن إلى الشام (٢٤٠) ذراعاً، الطولان سواء. وطول رحبة المسجد من اليمن إلى الشام (١٥٦)

(١) الأعلاق النفيسة: ٧٧.

(٢)المصدر السابق: ٧٧.

(٣) المصدر السابق: ٧٧ – ٧٨.

ذراعاً، وخالص عرض رحبة المسجد من المشرق إلى المغرب (٩٨) ذراعاً[١].

وذرع ما بين القبر والمنبر (٥٣) ذراعًا وشبر؛ وذرع ما بين المنبر ومقام النبي الذي كان يصلي فيه حتى توفي ﷺ (١٤) ذراعًا وشبر[٢].

وينقل عن محمد بن يحي: "ذرع المسجد مكسرًا ثلاثة آلاف ذراع وأربعمائة وأربع وأربعون ذراعًا"[٣].

ثم يورد معلومات مهمه عن المنبر تختلف يسيرًا عن ابن رسته وأكثر تفصيلاً:

"وذرع طول المنبر اليوم (٤) أذرع، وعرضه ذراع وشيء يسير.

وما بين الرمّانة المؤخرة والرمّانة التي كانت في منبر النبي ﷺ ذراع وشيء.

وما بين الرمّانة المحدثة والأرض ثلاث أذرع وشيء، وذرع المنبر اليوم من أسفل عتبته إلى مؤخره (٩) أذرع وشبر، وطوله في الأرض إلى مؤخره (٦) أذرع، وطول المجلس وعرضه شبران وأربع أصابع في مثل ذلك مربع.

وما بين أسفل قوائم منبر رسول الله ﷺ وما بين الأرض (٥) أشبار وشيء.

وعرض منبر النبي ﷺ شبران وطوله شبر، وطول منبر النبي ﷺ من ورائه شبران وشيء"[٤].

---

(١) الطريق: ١٣٦.

(٢) المصدر السابق: ١٣٦.

(٣) المصدر السابق: ١٣٧.

(٤) المصدر السابق: ١٣٦ – ١٣٧.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويوضح أن ما حول المنبر مفروش بالمرمر عرضه (٨) أذرع وطوله (١٨) ذراعًا[١].

ويزيد عن ابن رسته أسطوانة واحدة في عدد أساطين المسجد لتكون (٢٩٧) أسطوانة.

ويتفق في طول وعرض المنارات مع ابن رسته.

وعدد أبواب المسجد عند ابن رسته (٢٤) بابًا، بينما عند وكيع (٢٠) بابًا، منها في المشرق (٨) أبواب، وفي المغرب (٨) أبواب وفي الشام (٤) أبواب، وهذه الأبواب سوى الخوخات التي فيه، منهن: خوخة في دار حفصة بنت عمر، تحت المقصورة، ومنهن: خوخة في دار مروان، يخرج الإمام منها، ومنهن: خوخة في غربي المسجد مغلقة، تصل إلى دار مروان، "أخبرني غير واحد أن الناس كانوا يدخلون منها إلى المسجد".

وخوخة في باب المسجد في رحبة المسجد صغيرة، وخوخة في المنارة، يخرج منها إلى موضع الجنائز[٢].

وعرض منقبة جدار المسجد مما يلي المغرب ذراعان ينقصان شيئًا، وعرض منقبته مما يلي المشرق ذراعان وأربع أصابع[٣].

ويروي بسنده عن حسين بن مصعب أن كاتب الآيات القرآنية في قبلة

(١) الطريق: ١٣٧.

(٢) المصدر السابق: ١٣٨.

(٣) المصدر السابق: ١٣٩.

المسجد هو مولى لآل حويطب بن عبد العُزّى، بأمر من عمر بن عبد العزيز، وأن عمر بن عبد العزيز هو الذي عمل الرصاص الذي على طيف المسجد والميازيب، ولم يبق – في عهد وكيع – غير ميزابين فقط(١).

وأما ما يتعلق بالكتابات المنقوشة في المسجد النبوي فقد قال وكيع: "وقد نسخنا نسخة ما كان كتب في القبلة، وما كتب بعده في موضعه، حرفاً حرفاً"(٢).

وينفرد وكيع بنص كتاب لتوسعة وتزيين المسجد النبوي في أول ولاية بني العباس، كتب بجوار نص نقش توسعة المهدي وهذا نصه:

"أمر عبد الله أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد وترتيبه، وتوسعة مسجد رسول الله ﷺ سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ابتغاء رضوان الله وثواب الله، وإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة، وكان الله سميعاً بصيراً"(٣).

وينقل نقشاً آخر لهذه التوسعة في الزاوية في جوف المسجد على باب النبي وفيه نفس النص السابق وبعض الزيادات الا أن السنة هي (١٣٣هـ)(٤).

كما يورد نقشاً مهما على باب زياد لتوسعة كانت في عام (١٥١هـ)(٥).

ويقول أنّ: "بين باب النبي وباب عثمان مكتوب في صفحة الجدار بالفسيفساء بينه وبين المرمر من داخل: مما أمر به عبد الله عارون أمير المؤمنين أطال

(١) الطريق: ١٣٩.
(٢) المصدر السابق: ١٤٠.
(٣) المصدر السابق: ١٤٢.
(٤) المصدر السابق: ١٤٣.
(٥) المصدر السابق: ١٤٨.

الله بقاءه على يدي ابراهيم بن محمد أصلحه الله، عمل أهل بيت المقدس"[١].

وعلى طاقة باب بيت النبي ﷺ على يسارها: هذا ما انتهى عمل أهل بيت المقدس[٢].

ثم أورد بعض الآيات القرآنية والأدعية المكتوبة في القبلة من الخارج في موضع الجنائز، حيث كان يصلى على الموتى عند باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذلك ما هو مكتوب من الخارج على باب النبي ﷺ، وعلى باب عثمان رضي الله عنه، ومكتوب عن يمين ويسار هذا الباب: "عمل أهل حمص"[٣].

ثم أورد ما هو مكتوب على الأبواب من الداخل والخارج[٤].

كما يوضح أن العود الذي كان في قبلة المسجد وكان النبي ﷺ يعتمد عليه إذا قام في صلاته، وإذا قام من سجوده، وحينما كان يكلم أحدًا من الناس لحاجة... موجود في محراب المسجد منذ بناء عمر بن عبد العزيز.

كما خُلّقت الأسطوانة التي عند الصندوق للدلالة على موضع الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ[٥].

ويورد نصاً مهما مسنداً عن سليمان بن عبد العزيز أنّ:

"مقام جبريل إذا خرجت من باب النبي ﷺ الذي يقال له باب عثمان

(١) الطريق: ١٤٣.

(٢) المصدر السابق: ١٤٣.

(٣) المصدر السابق: ١٤٣ – ١٤٤.

(٤) المصدر السابق: ١٤٤ – ١٤٩.

(٥) المصدر السابق: ١٥٠.

على يمينك بجنب الميزاب إلى الباب، وقد كان عمر بن عبد العزيز يعلّمه بحجر في جدار المسجد طويل، ويعلّم جدار عثمان بكوّة حفرها في الجدار على ظهر ذلك الحجر، ثم هدم جدار المسجد في خلافة هارون، وعلى المدينة محمد بن عبد الله الربعي، فكتب إلى هارون أن يعيده فأعاده وأعاد حجراً مثله"(١).

ويوضح علامة حد جدار مسجد النبي ﷺ الذي في القبلة: "عود موتد بالأرض، على سبعة أذرع وشبر من عضادة باب المسجد الشرقي الذي يقال له باب النبي ﷺ، وجاه القبر، فذلك العود ثمّ اليوم، وقد قيل إن بحذائه من الشق الغربي مثله قد علا عليه الكلس"(٢).

وينقل عن مالك أن حدّ جدار مسجد النبي ﷺ من الشرق حدّ القناديل التي بين الأساطين التي في وسطها أسطوانة التوبة وبين الأساطين التي تلي القبر(٣).

٣) **كتاب: المسالك والممالك.**

**المؤلف:** أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ).

ذكر المدينة باقتضاب، وقال عن المسجد النبوي وخصوصًا الحجرة النبوية: "وقبر النّبيّ -ﷺ- من المسجد في شرقيّه قريبًا من القبلة وهو الجدار الشرقي

(١) الطريق: ١٥١.

(٢) المصدر السابق: ١٥٠.

(٣) المصدر السابق: ١٥١.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من المسجد وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد إلّا فرجة وهو مسدود لا باب له وفيه قبر رسول الله -ﷺ- وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والمنبر الّذى كان يخطب عليه رسول الله -ﷺ- غشي بمنبر آخر، والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر"[١].

٤) **كتاب: المسالك والممالك.**

**المؤلف**: أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ).

ربما أن البكري -الذي لم يعرف أنه قد أدى فريضة الحج- تحصّل على هذه المعلومات المهمة من الحجاج، أو أنه قد كلّف البعض بحصر هذه المعلومات التي أوردها في كتابه فقال:

"وخالص طول رحبته من اليمن إلى الشّام مائة وخمسون ذراعًا وفيه من الأساطين مائتان وستّ وتسعون،... وعدد أبواب المسجد عشرون: في الشرق ثمانية وفي الغرب ثمانية وفي الشرق الشّامي أربعة أبواب، ...

وللمسجد ثلاث صوامع: اثنتان في الشرق وواحدة في الغرب، وطول الغربية ثلاثة وخمسون ذراعًا، وطول إحدى الشرقيتين خمسون ذراعًا والأخرى خمس وخمسون ذراعًا، وتربيع كلّ واحدة منها ثمانية أذرع في مثلها.

وارتفاع منبر رسول الله -ﷺ- دون الزيادة ذراعان وأربعة عشر إصبعًا، وهو ثلاثة أذرع بالمقعد، والدرجتان شبران في شبر والمقعد ذراعان في مثلها.

(١) المسالك والممالك: ١٨، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م.

...وذرع ما بين القبر والمنبر ثلاثة وخمسون ذراعًا وشبر، والمنبر الّذي زاده مروان فيه طوله أربعة أذرع وفي عرضه ذراعان ونصف، وعرض الرخام الّذي حول المنبر ثمانية عشر ذراعًا وطوله بين ستّ أساطين، قدام المنبر منها أسطوانتان.

وذرع ما بين القبر والمنبر ثلاثة وخمسون ذراعًا وشبر، وذرع ما بين المنبر ومقام النبي -ﷺ- الّذي كان يصلّي فيه حتّى توفّي رسول الله -ﷺ- أربعة عشر ذراعًا وشبر. وذرع ما بين مصلّاه الأوّل وبين الأسطوانة المعروفة بأسطوانة التوبة تسعة عشر ذراعًا. وذرع ما بين جدار القبلة اليوم إلى أسطوانة التوبة عشرون ذراعًا.

وعلى رأس محراب المسجد من الخارج في الجدار مرآة مربّعة. وعدد قناديل المسجد مائتا قنديل وتسعون قنديلًا.

وفي صحن المسجد بيت هي خزانة المسجد، وأمام البيت أسطوانة قد رسمت في أعلاها بلاطة لمعرفة أوقات الظهر والعصر في جميع أيّام العام.

وممّا يلي مؤخّر المسجد حائط فيه نخلٌ كثير، وهو الحائط الّذي كان لأبي طلحة الأنصاري المعروف ببيرحا"[1].

٥) **معجم البلدان.**

**المؤلف**: شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ).

يقدم ياقوت بعض الزيادات المهمة في عمارة المسجد فيقول:

(١) المسالك والممالك: ١/ ٤١١ – ٤١٢، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢ م.

"وقتل عثمان وليس له شرّافات فعملها هي والمحراب عمر بن عبد العزيز، ولما ولي الوليد بن عبد الملك واستعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة أمره بهدم المسجد وبنائه فاستعمل عمر على ذلك صالح بن كيسان وكتب الوليد إلى ملك الروم يطلب منه عمّالًا وأعلمه أنه يريد عمارة مسجد النبي ﷺ، فبعث إليه أربعين رجلًا من الروم وأربعين من القفط ووجّه إليه أربعين ألف مثقال ذهبًا وأحمالًا من الفسيفساء، فهدم الروم والقفط المسجد وخمّروا النورة للفسيفساء سنة وحملوا القصّة من بطن نخل وعملوا الأساس بالحجارة والجدار والأساطين بالحجارة المطابقة وجعلوا عمد المسجد حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص، وجعل عمر المحراب والمقصورة من ساج، وكان قبل ذلك من حجارة وجعل طول المسجد مائتي ذراع وعرضه في مقدمه مائتين وفي مؤخره مائة وثمانين وهو سقف دون سقف. قال صالح بن كيسان: ابتدأت بهدم المسجد في صفر سنة ٨٧ وفرغت منه لانسلاخ سنة ٨٩ فكانت مدة عمله ثلاث سنين، وكان طوله يومئذ مائتي ذراع في مثلها فلم يزل كذلك حتى كان المهدي فزاد في مؤخره مائة ذراع وترك عرضه مائتي ذراع على ما بناه عمر بن عبد العزيز، وأما عبد الملك بن شبيب الغساني في سنة ١٦٠ فأخذ في عمله وزاد في مؤخره، ثم زاد فيه المأمون زيادة كثيرة ووسّعه، وقرئ على موضع زيادة المأمون: أمر عبد الله بعمارة مسجد رسول الله -ﷺ- سنة ٢٠٢ طلب ثواب الله وطلب كرامة الله وطلب جزاء الله؛ فإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة، وكان الله سميعًا بصيرًا"[١].

(١) معجم البلدان: ٥/ ٨٧، دار صادر، بيروت، ط٢/ ١٩٩٥م.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

## ثامناً: كتب الرحلات.

### ١) سفر نامة

**تأليف**: ناصر بن خسرو بن حارث القباذاني المروزي (ت٤٨١هـ).

لم يمكث ناصر خسرو سوى يومين في المدينة المنورة، وقدّم وصفًا مختصرًا للحجرة النبوية عام ٤٣٩هـ، فقال:

"وهذا المقام مخمس ترتفع حوائطه من بين أعمدة المسجد ويحيط به خمسة أعمدة وكان في آخره حظيرة أحيطت بسياج حتى لا يدخلها أحد وأسدل على الجزء المكشوف منها شبكة حتى لا تدخلها الطيور وبين قبر الرسول والمنبر مسافة من الرخام تشبه الساحة وتسمى الروضة"(١).

### ٢) رحلة ابن جبير.

**المؤلف**: ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى: ٦١٤هـ).

يقدم ابن جبير وصفًا مهمًّا للمسجد النبوي، وقد قاسه بالشبر والخطوة، فقال:

"المسجد المبارك مستطيل، وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به، ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى، فالجهة القبلية منها لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق، والجهة الجوفية لها أيضًا خمس بلاطات على الصفة المذكورة، والجهة الشرقية لها ثلاث بلاطات، والجهة الغربية لها أربع بلاطات"(٢).

(١) رحلة ناصر خسرو: ١١١، تحقيق: د. يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد – بيروت، ط٣/ ١٩٨٣م.
(٢) رحلة ابن جبير: ١٥٠، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

"وأخذت أيضًا من الجهة الشرقية سعة بلاطين فانتظم داخلها من أعمدة الأبلطة ستة، وسعة الصفحة القبلية منها أربعة وعشرون شبرًا، وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبرًا، وما بين الركن الشرقي إلى الركن الجوفي صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبرًا، ومن الركن الجوفي إلى الغربي صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبرًا، ومن الركن الغربي إلى القبلي صفحة سعتها أربعة وعشرون شبرًا. وفي هذه الصفحة صندوق آبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها هو قبالة رأس النبي ﷺ، وطوله خمسة أشبار، وعرضه ثلاثة أشبار، وارتفاعه أربعة أشبار، وفي الصفحة التي بين الركن الجوفي والركن الغربي موضع عليه ستر مسبل يقال إنه كان مهبط جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ"(١).

والروضة المقدسة مع آخر الجهة القبلية مما يلي الشرق؛ وانتظمت من بلاطاته مما يلي الصحن في السعة اثنتان ونيف إلى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار، ولها خمسة أركان بخمس صفحات، وشكلها شكل عجيب، لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله، والصفحات الأربع محرفة من القبلة تحريفًا بديعًا، لا يتأتى لأحد معه استقبالها في صلاته لأنه ينحرف عن القبلة.

"وطول المسجد الكريم مائة خطوة وست وتسعون خطوة، وسعته مائة وست وعشرون خطوة، وعدد سواريه مئتان وتسعون، وهي أعمدة متصلة بالسمك دون قسي تنعطف عليها، فكأنها دعائم قوائم، وهي من حجر منحوت قِطَعًا قِطَعًا ململمة مثقبة توضع أنثى في ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب إلى أن تتصل عمودًا قائمًا، وتكسى بغلالة جيار، ويبالغ في صقلها ودلكها فتظهر كأنها

(١) رحلة ابن جبير: ١٥٠ – ١٥١.

رخام أبيض"[١].

ويصف ما شاهده ويقول:

أمام الروضة المقدسة أيضًا صندوق كبير هو للشمع والأنوار التي توقد أمام الروضة كل ليلة. ...وبإزائها في الصحن خمس عشرة نخلة[٢].

ونصف جدار القبلة الأسفل رخام...

والنصف الأعلى من الجدار منزّل كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء، قد أنتج الصناع فيه نتائج من الصنعة غريبة تضمنت تصاوير أشجار مختلفات الصفات مائلة الأغصان بثمرها. والمسجد كله على تلك الصفة، لكن الصنعة في جدار القبلة أحفل. والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك، ومن جهة الجوف أيضا. والغربي والشرقي الناظران إلى الصحن مجردان أبيضان ومقرنصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة.

وللمسجد المبارك تسعة عشر بابًا، لم يبق منها مفتحًا سوى أربعة في الغرب:

منها اثنان، يعرف أحدهما بباب الرحمة، والثاني بباب الخشية، وفي الشرق اثنان: يعرف أحدهما بباب جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والثاني بباب الرجاء. ويقابل باب جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، دار عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي التي استشهد بها[٣].

والمنبر عن يمين المحراب في أول البلاط الثالث من المحراب في روضة

(١) رحلة ابن جبير: ١٥٢.

(٢) المصدر السابق: ١٥٣.

(٣) المصدر السابق: ١٥٤.

مفروشة من الرخام مجوز حولها به، وله درج، وسمر في أعلاه لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يجلس عليها، وهو مختصر، ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن، والجذع أمام المنبر، وشرقي المنبر تابوت يستر به مقعد رسول الله ﷺ (١).

... وللمسجد ثلاث منارات: اثنتان للجنوب وواحدة للمشرق(٢).

"ونصف جدار القبلة الأسفل رخام، موضوع إزار على إزار، مختلف الصنعة، واللون، مجزّع أبدع تجزيع. والنصف الأعلى من الجدار منزّل كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء، قد أنتج الصناع فيه نتائج من الصنعة غريبة تضمنت تصاوير أشجار مختلفات الصفات مائلة الأغصان بثمرها. والمسجد كله على تلك الصفة، لكن الصنعة في جدار القبلة أحفل. والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك، ومن جهة الجوف أيضا. والغربي والشرقي الناظران إلى الصحن مجردان أبيضان ومقرنصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة:(٣).

وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر(٤).

٣) **رحلة: الاستبصار في عجائب الأمصار** (ق٦ الهجري) لمؤلف مجهول.

يقدم صاحب هذه الرحلة معلومات مهمة في وصفه للمسجد النبوي قبل الحريق:

---

(١) رحلة ابن جبير: ١٥٢.

(٢) المصدر السابق: ١٥٤.

(٣) المصدر السابق: ١٥٤.

(٤) المصدر السابق: ١٥٠.

"ومسجد النبي -ﷺ- مستطيل غير مربع، يزيد طوله على عرضه ١٠٠ ذراع. وسماء المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة، كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبّسة بالجيار.

وهو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن، فإنه أقواس معقودة وجوهها منزولة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار. والأعمدة التي إلى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماء المسجد، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد مغلفة بشراجيب الساج؛ مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة، ومؤخره مثل ذلك، ومجنبة المسجد الشرقية فيها (٣) بلاطات معترضة، ومجنبته الغربية (٤) بلاطات؛ ومن مقدم المسجد إلى الصحن (١١) قوسًا، وكذلك من مجنبته الأخرى. وطول المسجد من ركن منار بلال رضي الله عنه وهو الذي بإزاء قبر النبي -ﷺ- إلى ركن مؤخره، وعرضه من باب جبريل عليه السلام وهو الذي بإزاء قبر النبي -ﷺ- إلى باب الرحمة التي بجنب دار السيدة (١٧٠) ذراعًا"[(١)].

ويعرج على الروضة ويصفها:

"طول الروضة التي بين قبره -ﷺ- والمنبر (٥٦) ذراعًا. وذرع الموضع المرخم الذي في وسطه الروضة، وهو الموضع الذي كان يقعد فيه النبي -ﷺ- ويستند إلى تابوت من خشب كان يرفع فيه حوائجه -ﷺ-، فذلك الموضع اليوم شبه الحوض، مرخم عمقه قدر شبر وطوله (٣) أذرع. (والصندوق) فيه باق إلى

(١) الاستبصار في عجائب الأمصار: ٣٧، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اليوم، وعليه قفل من حديد ما فتحه أحد ولا يعلم ما في داخله؛ (والصندوق) في قبلة الحوض منزول منه إلى الأرض بمقدار ما يتحرك"[١].

ويبين بالوصف الدقيق الحجرة النبوية فيقول:

"قبره -ﷺ- في ثلث البلاط الأوسط من ناحية الشرق، وهو في روضة مخلّقة ولها (٥) أركان: في الحائط الذي ينظر إلى القبلة منها، في الركن منه من ناحية المنبر، وجه النبي -ﷺ- إلى القبلة؛ وعند قدر وسطه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجه أبى بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقبال ذلك مسمار فضة علامة لموضع وجهه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وعند قدر وسط أبى بكر وجه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومن ذلك الحائط إلى حائط القبلة (٢٠) ذراعًا، وطول هذا الحائط (١٩) ذراعًا، وطول الحائط الذي يلى باب جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (١٥) ذراعًا، وبين هذا الحائط وحائط المسجد الشرقي (٩) أذرع. وطول الثلاثة الأوجه سوى هذه (١٥) ذراعًا، وارتفاعها من الأرض نحوًا من (١٢) ذراعًا، وهي مرخمة كلها، وعليها مما يلي سقف المسجد شباك الحديد، وهي مكشوفة ليس لها سقف، ولها سماء إلى سقف المسجد. وقد أسدلت عليها أستار من الديباج الملون إلى قدر ثلثي الحيطان، والثلث الباقي من ناحية القبلة والغرب ملطخ بالعنبر والمسك والزعفران.

وفي الركن الذي عند رأس النبي -ﷺ- رخامة خضراء ما رأى أحد أجمل منها، جعلت علامة لموضع رأسه ﷺ"[٢].

كما يقدم وصفًا للمحراب والحائط القبلي:

(١) الاستبصار في عجائب الأمصار: ٣٨.

(٢) المصدر السابق: ٣٨ – ٣٩.

"المحراب ليس في وسط حائط القبلة، إنما هو أميل إلى الشرق ب (٢٠) ذراعًا. والقبلة مرخمة وعلى الترخيم مكتوب، من باب الرحمة إلى باب السلام، من أول سورة «والشمس وضحها» إلى آخر سورة «قل أعوذ برب الناس» الخ. وعلى جانب المحراب كوكب كبير، وفى وسطه حجر من ياقوت أزرق يذكر أنه وسط عقد فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وفى قبلة المسجد عن يمين المحراب باب صغير، تحت المقصورة في وسط البلاط، يهبط منه على درج إلى باب كان يسكن فيه آل عمر رضي الله عنه"[١].

ويقول إن عدد أبواب المسجد: "(٢٠) بابًا: منها في الجانب الشرقي (٧) أبواب مربعة بمصاريع مشرجبة؛ وفى الجانب الغربي كذلك منها باب صغير بدفة، وهو قوس ليس للمسجد باب بقوس غيره. وفى الجانب الجوفي (٤) أبواب أيضًا كبار؛ وباب في القبلة، وباب تحت المقصورة التي تقدم ذكرها "[٢].

**ويقدم وصفًا عامًّا مهمًّا للمسجد:**

"جميع ما في المسجد من العمد (٢٧٦) عمودًا. وللمسجد (٣) منائر على (٣) أركان: منها على ركن القبلة الشرقي منار، وعلى الغربي منار، وعلى ركن مؤخر المسجد منار. والمسجد مبسوط مقدمه ومؤخره ومجنبّته بالحصى الأدكن. وكان في البلاط الأوسط عام ٥٢٨هـ وطاء طبري مبطّن. وجميع جدره مرخّمة قدر قامتين أو أزيد قليلًا، وصحنه مبسوط بالحصى، وهو مغروس بالنخيل. في البلاط الشرقي بناء قائم يشبه المحراب، ذكر أنه كان موضع صلاة فاطمة رضي الله عنها. وفي

(١) الاستبصار في عجائب الأمصار: ٤٠.

(٢) المصدر السابق: ٤٠ – ٤١.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الجوف، في وجه البلاط في الصحن، بناء قائم كأنه بيت، ذكر أنه مخزن المسجد".

وفى المسجد من القناديل (٢٨٤) قنديلًا؛ وكان يحرق كل ليلة (١٠) أرطال من الزيت[١].

(١) الاستبصار في عجائب الأمصار: ٤١.

## القسم الثاني:
## (مصادر بناء المسجد بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤ والحريق الثاني ٨٨٦هـ)

### أولاً: مؤرخو المدينة المنورة

١) **كتاب: التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة.**

**تأليف:** جمال الدين محمد بن أحمد المطري (ت٧٤١هـ).

عدّه حاجي خليفة ذيلًا لكتاب ابن النجار الدرة الثمينة[١].

تكمن أهميته في أن مؤلفه أحد سكان المدينة وعلمائها.

كما يتميز كتاب المطري على الرغم من صغر حجمه بثراء وأهمية المعلومات التي يوردها عن المدينة المنورة لأنه أحد أبنائها وعلمائها، وعاش وتوفي فيها، وكان مؤذنًا في المسجد النبوي، وناب في القضاء والإمامة[٢]، ويقف على كل أمر يورده بنفسه، ويحقق ويدقق فيه.

ولعل المطري هو أول من قدم معلومات مهمة عن وصف المسجد بعد إعادة بنائه بعد الحريق الهائل الذي أصابه عام ٦٥٤هـ، فيقول:

"وما ذكر من القيام تحت القنديل تجاه الحجرة الشريفة للسلام، كان قبل احتراق المسجد الشريف فإنه لم يكن يقابل وجه رسول الله ﷺ إلا قنديل واحد، ولما جُدّد جُعل هناك عدة قناديل..."[٣].

---

(١) كشف الظنون: ١/ ٣٠٢، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٩٤١م.

(٢) عاصره ابن فرحون وتحدث عنه بالتفصيل: نصيحة المشاور: ١٢٨، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١/ ١٤٣٤هـ.

(٣) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة: تحقيق: أ.د. سليمان الرحيلي، دارة الملك عبد العزيز، =

كما يقدم رواية مسندة عن سبب حريق المسجد[١]، ويوضح وضع الحجرة النبوية بعد الحريق، وما تم فيها من عمارة بعد ذلك، ومن عمارة المسجد، وأروقته، والمنبر، والأسطوانات، والدرابزين الذي من جهة الروضة[٢].

٢) **كتاب: نصيحة المشاور وتعزية المجاور**

**المؤلف**: عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري (ت٧٦٩هـ).

المؤلف ولد وعاش ومات في المدينة المنورة، وهو أبرز علمائها، ولذا فإن مشاهداته للمسجد النبوي بعد بنائه بسبب الحريق الأول على درجة من الأهمية.

لقد وصف ما أحدث في المنارتين الشماليتين، كما تحدث عن المقصورة التي أضيفت وألحقت بالحجرة النبوية، ودورها في قطع الصفوف[٣].

كما قدّم وصفًا للسقاية التي كانت في الحصوة الأولى متقدمة على النخل ومساحتها بنحو (١٥) ذراعًا مربعًا، ولما كثر الشر بسببها أزيلت[٤].

كما فصّل في بناء منارة باب السلام عام (٧٠٦هـ)، واستخدام الحجر في بنائها[٥]، كما بين بناء السلطان الناصر[٦] للرواقين شمالي المسجد سنة

---

=

١٤٢٦: ٧٨.

(١) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة: ٨٢.

(٢) المصدر السابق: ٨٣ – ١١٢.

(٣) نصيحة المشاور: ٥٢.

(٤) المصدر السابق: ٥٣.

(٥) المصدر السابق: ٨٥ – ٨٧.

(٦) الملك الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطنة سنة (٦٩٣هـ) بعد أخيه الملك الأشرف خليل، وكان =

(٧٢٩هـ)[١].

٣) **كتاب: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة.**

**المؤلف**: زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغي (ت٨١١هـ).

لقد ذكر أن اعتماده على كتاب ابن النجار ((الدرة الثمينة في أخبار المدينة)) وكتاب المطري، وأضاف لهما مشاهداته.

يقدم تفصيلًا مهمًّا عن بناء المسجد، ويناقش أطوال المسجد وذرعه الذي ذكره ابن النجار، ثم يستفاد من تحرير هذا العالم قوله: "وطول المسجد اليوم بعد الزيادات كلها مائتا ذراع وأربع وخمسون ذراعًا، وعرضه من مقدمه من المشرق إلى المغرب مائة ذراع وسبعون ذراعًا، وعرضه من مؤخره مائة ذراع وخمسة وثلاثون ذراعًا"[٢].

ويقول عن شرافات المسجد: "توفي عثمان وليس للمسجد شرافات ولا محراب، فأول من أحدث الشرافات والمحراب عمر بن عبد العزيز، ويقال عملها عبد الواحد

---

=

عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهورًا، وذلك باتفاق أمراء المماليك، ثم خلع في سادس عشر المحرم سنة أربع وتسعين، ونفي إلى الكرك، وأعيد إلى الملك ثانيًا، فأقام في الملك إلى سنة ثمان وسبعمائة، وخرج يريد الحج، فتوجه إلى الكرك غيظًا من حجر سلار وبيبرس عليه، فقام بيبرس في السلطة ثم اضطربت أموره، وقدم الناصر من الشام إلى مصر، فملك مرة ثالثة في شوال سنة تسع وسبعمائة، واستبد الناصر من حينئذ بالأمر من غير معارض مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوماً، كانت له فيها سير وأنباء، وكان الناصر أطول ملوك زمانه عمرًا وأعظمهم مهابة، توفي سنة (٧٤١هـ). (ابن خلدون: العبر: ٥/ ٤٢٧).

(١) نصيحة المشاور: ٨٥.

(٢) تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة: ٩٠، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، ط١/ ١٤٢٢هـ.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

النصري وكان واليًا، وليس للمسجد اليوم شرافات منذ حريقه، وقد حددت له شرافات سنة سبع وستين وسبعمائة في أيام السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر. والله أعلم"(١).

كما يرسم صورة الحجرة النبوية في عهده بيده(٢)، ويقدم مشاهدات مهمّة: "ونقل أهل السير أن صحن المسجد كان فيه أربع وستون بالوعة بسبب الأمطار ولا تعرف فيه اليوم إلا ثنتان، واحدة في صحن المسجد، والأخرى غربي الحجرة الشريفة داخل المقصورة. والله أعلم"(٣).

"وذرعت أيضاً من القبلة متقدمًا على المنبر بنحو ثلثي ذراع وأربع وخمسين وثلثي ذراع كما نقله أيضاً، فبلغ في صحن المسجد دوين الحجرين بستة أذرع، كل ذلك بذراع المدينة الشريفة"(٤).

"وبين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع ذراع، وفي صحن المسجد حجران يذكر أنهما حد مسجد رسول الله ﷺ ولكنهما ليسا على سمت المنبر الشريف، بل هما داخلان إلى جهة الشرق بمقدار أربعة أذرع أو أقل، ومتقدمان إلى القبلة بمثل ذلك"(٥).

(١) تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة: ٦٦.

(٢) المصدر السابق: ٨٢.

(٣) المصدر السابق: ٨٦ – ٨٧.

(٤) المصدر السابق: ٨٨.

(٥) المصدر السابق: ٨٩.

"وينبغي أن يعلم استقلال الأبواب الآن بستور لها وإنما يظهرونها في أوقات المهمات كقدوم أمير المدينة، وأنها من بعد قتل المستعصم استقرت تعمل في مصر، ثم في عشر الستين وسبعمائة اشتريت قرية من بيت مال المسلمين بمصر ووقفت على كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة، وعلى كسوة الحجرة المقدمة والمنبر الشريف في كل ست سنين مرّة، تعمل من الديباج الأسود مرقوم بالحرير الأبيض إلا كسوة المنبر فانه بتقصيص أبيض والله أعلم"[١].

"وعمل الملك المظفر صاحب اليمن منبرًا رمانتاه من الصندل وأرسله في سنة ست وخمسين، ونصب في موضع منبر النبي ﷺ، وبقي عشر سنين يخطب عليه إلى سنة ست وستين وستمائة، أرسل الملك الظاهر هذا المنبر الموجود اليوم، فقلع منبر صاحب اليمن وجعل في حاصل الحرم وهو باق فيه ونصب هذا، وطوله أربعة أذرع، ومن رأسه إلى عتبته سبعة أذرع يزيد قليلاً، وعدد درجاته سبع بالمقعد.

وينبغي أن يعلم أن منبر الظاهر بيبرس بقي يخطب عليه من سنة ست وستين وسبعمائة[٢] إلى سنة سبع وتسعين، فكانت مدة الخطبة عليه مائة واثنتين وثلاثين سنة، وبدأ فيه أكل الأرضة، فأرسل الملك الظاهر برقوق صاحب مصر هذا المنبر الموجود اليوم آخر سنة سبع وتسعين وسبع مئة، وقلع منبر الظاهر بيبرس، وجعل من حاصل الحرم. والله أعلم"[٣].

---

(١) تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة: ١٠٤.

(٢) لعله خطأ من الناسخ، وقد نقل السمهودي عن المراغي قوله: "وبقي منبر الظاهر بيبرس يخطب عليه من سنة ست وستين وستمائة إلى سنة سبع وتسعين وسبعمائة". وفاء الوفا: ٢/ ١٦.

(٣) المصدر السابق: ١١١ – ١١٢.

٤) كتاب: **المغانم المطابة في معالم طابة.**

**تأليف:** مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآباديِّ الشِّيرازيِّ الشافعيِّ (٧٢٩ - ٨١٧هـ)[١].

يقدم تفصيلًا مهمًّا باعتماده على ابن النجار والمطري، وعرف بدقته ومشاهداته المهمة، ومنزلته من السلطة ومكانته، ونقولاته المهمة عن بعض الأمور المهمة المتعلقة ببناء المسجد ومنها حديثه عن الحجرة النبوية حيث قال واصفًا:

"وسعة الصفحة القِبلية منها أربعة وأربعون شبرًا، وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبرًا، وما بين الركن الشرقي إلى الركن الجوفي صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبرًا، ومن الركن الجوفي إلى الركن الغربي صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبرًا، ومن الركن الغربي إلى القِبلي أربعة وعشرون شبرًا، وفي هذه الصفحة صندوق آبنوس، مختم بالصندل، مصفح بالفضة مكوكب بها، هو قبالة رأس النبي ﷺ وفيه أسطوان، وخلفه محراب، وفوق الصندوق قائم من خشب مجدد.

وأما الصندوق فطوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه في الهواء أربعة أشبار. فجميع الحجرة الشريفة سعتها من جميع جهاتها مائة شبر واثنان وسبعون شبراً، وهي مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائق النعت، ومنتهى الإزار منها إلى نحو الثلث أو أقل شبراً، وهي مقدار قامة وبسطة، وهو مما فاز بفعله جمال الدين الجواد الأصفهاني ذو المراتب المأثورة، وقد كان سبقه إليه المتوكل بالله فإنه أول من أزر الحجرة الشريفة بالرخام فلما عَتُق ذلك جدده جمال الدين الجواد، وهو

(١) نشره مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط٢/ ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

باق إلى اليوم"[١].

كما ينقل الكتابات القرآنية التي على الأبواب مثل باب عثمان بن عفان رضي الله عنه[٢]، وباب: رَيْطَة ابنة أبي العَبَّاس السَّفاح[٣]، ويُعرَفُ بِبَابِ النِّسَاءِ المقابل لدار أسماء بنت الحسين[٤]، وباب مقابل دار خالد بن الوليد[٥]، وباب مقابل زقاق المناصع[٦]، وباب يقابل أبيات الصوافي[٧]، وبقية الأبواب[٨].

كما نقل ما كتب من آيات قرآنية في قبلة المسجد[٩]

كما ينقل الكتابات المؤرخة لتوسعة بعض الخلفاء[١٠].

وينقل وصفاً مهما لمحراب النبي ﷺ وما كتب عليه من آيات قرآنية[١١].

وقدم وصفاً للمنبر على عهده، والكتابة عليه، وكسوته[١٢].

---

(١) المغانم المطابة: ٢/ ٥٠٠ – ٥٠١.
(٢) المصدر السابق: ٢/ ٥٠٢.
(٣) المصدر السابق: ٢/ ٥٠٣.
(٤) المصدر السابق: ٢/ ٥٠٤.
(٥) المصدر السابق: ٢/ ٥٠٥.
(٦) المصدر السابق: ٢/ ٥٠٥.
(٧) المصدر السابق: ٢/ ٥٠٦.
(٨) المصدر السابق: ٢/ ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٢
(٩) المصدر السابق: ٢/ ٥١٦.
(١٠) المصدر السابق: ٢/ ٥١١ – ٥١٣، ٥١٧.
(١١) المصدر السابق: ٢/ ٥٦٩.
(١٢) المصدر السابق: ٢/ ٦٠٢.

وبين وضع القبة التي في وسط المسجد: "ومن ذلك أنه لما كان تاريخ سنة ست وسبعين وخمسمائة، أمر الإمام الناصر لدين الله ببناء قبة في صحن الحرم الشريف لتكون خزانة تحفظ فيها حواصل الحرم وذخائره؛ مثل المصحف الكريم العثماني، وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ، ولما احترق المسجد الشريف، سَلَّمَ الله تعالى ما فيها عن الحريق ببركة المصحف الكريم العثماني.

والمصحف العثماني وما بين الصناديق والمصاحف والذخائر فيها سالمة إلى يومنا هذا، ولله الحمد"[١].

٥) **كتاب: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة.**

**المؤلف**: شمس الدين محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ).

عاش هذا العالم مجاورًا في المدينة المنورة، وهو دائم التردد عليها[٢]، وله صداقات مع علمائها، وغالبهم من تلاميذه وأقرانه، ومن أبرزهم السمهودي، وقد تحدث عن دور السلطان قايتباي في المسجد النبوي قبل وبعد الحريق[٣]، ولا شك أن السخاوي قد اطلع على المسجد النبوي قبل الحريق وبعده، فقدم أطوالًا مفصلة عن المسجد النبوي:

"وذَرعُ عرضِ جميعِ المسجدِ، من مقدَّمِه ومؤخَّرِه متفاوتٌ، فالمقدَّمُ: مائة وخمسة وستون ذراعاً، أو يزيد خمسةً، والمؤخَّر: دونَه بخمسةٍ وثلاثين، أو تزيد،

(١) المغانم المطابة: ٢/ ٥٥٤.

(٢) التحفة اللطيفة: ١/ ٩٢- ٩٤، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط٢/ ١٤٣٨هـ.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٨٢.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وللصَّحنِ من ذلك مائة وواحدٌ وستون ذراعًا ونصف.

وطولُه: مئتان وأربعة وخمسون ذراعًا وأصابع، فللصَّحنِ من ذلك: خمسٌ وتسعون، وارتفاعُ المسجدِ من داخلِه، اثنان وعشرون ذراعًا، ومِن خارجِه يزيدُ ستةً، لأجلِ شُرفةِ سطحِه"(١).

كما وضح مكان الروضة من المسجد بالأطوال:

"والرَّوضةُ: الثَّابتُ كونُها من رياض الجنة، وهي بين محلّه ومنبره الشريفين؛ تحديدُها مع الإحاطة بأنَّ المنبر الآن قُدِّمَ على محلِّه الأصليِّ لجهة القبلة بعشرين قيراطًا، ولجهةِ الرَّوضةِ من مقدّمِه بنحوِ ثلاثةِ قراريطَ من مُقدَّم الحُجرة القِبليِّ إلى المنبر، مع إدخالِ عرضِ الرُّخام ثلاثٌ وخمسون، أو تسعٌ وأربعون ذراعاً وثلثٌ بذراع اليد، كأنه بالنَّظر للتَّفاوتِ بين الذِّراعينِ المقيسِ بهما من جهتي الطُّول المُفرِط، ودونه"(٢).

كما يبين عدد أروقة المسجد وجهاتها:

"وأروقته القِبليةُ، التي بين المشرقِ والمغرب كانت خمسة، ثمَّ استقرَّت بعد زيادةِ الرُّواقين بموحَّدة سبعة، وأنَّ الشَّاميَّ كان خمسةً أيضاً، كما صرَّح به ابنُ جبير، فنقصَ منه رُواقٌ زِيدَ في صحن المسجد.

والشَّرقيُّ ثلاثةُ أروقةٍ من القِبلة إلى الشَّامِ، والغربيُّ أربعةُ أروقةٍ كذلك، وبه

(١) التحفة اللطيفة: ١/ ٨٦.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٨٦ – ٨٧.

صرَّح ابنُ عُبيدة، ثمَّ ابن جبير، وكذا هو اليوم"[١].

إضافة إلى عدد أساطين المسجد:

" وأساطينُه -بما دخل في حائز القبرِ الشَّريف- تزيد على ثلاث مائة"[٢].

ويفصل في جهة الأبواب وأعدادها:

"وأبوابُه أربعةٌ: بابُ السَّلام، وبابُ الرَّحمة، وهما: في الجهة الغربية"[٣].

"وبابُ جبريل، وبابُ النِّساء، وهما في الجهة الشَّرقية"[٤].

وتحدث عن منارات المسجد:

"ومنائرُه: أربع أيضًا، على أركانِه، سوى خامسةٍ للمدرسة الأشرفية.

وكان رئيسُ المؤذِّنين -محمَّدُ بنُ إبراهيمَ الكِناني جدُّ أحدِ الرُّؤساء الآن- يقول: إنَّها -يعني منارةَ بابِ السَّلام- تكفي أهلَ المدينة، وهو كذلك، كما سيأتي في ترجمته.

والمنارةُ الرَّئيسيةُ، وهي أشرفُها، لقربِها من الحُجرةِ النَّبوية بحيث أُجِلُّها عن صعودِ غيرِ الفُضلاءِ، سيَّما لغير حاجةٍ.

وقد أُحكمتْ على يد شيخِ الخُدَّام وعالِمِهم: شاهين الجمالي، اقتداءً بشيخِهم. كان كافور الحريري في منارة بابِ السَّلام جُوزي خيرًا؛ فإنه بلغَ في حفرِ أساسِها

(١) التحفة اللطيفة: ٨٧ – ٨٨.

(٢) المصدر السابق: ٨٨.

(٣) المصدر السابق: ٩٢.

(٤) المصدر السابق: ٩٤.

إلى الماء، وأتقنَها جدًّا، وزاد في عرضِ بعضِ جُدرها، وفي ارتفاعِها، بحيثُ زادَ على مائة وعشرين ذراعًا. كلُّ ذلك حين ظهورِ خللِها، وصارتْ أطولَ الأربعة"(١).

تحدث عن كسوة الحجرة النبوية فقال: "ولم يزل الخلفاءُ والملوكُ يتداولون كسوةَ الحُجرة والكعبة إلى أن وقفَ عليها الصَّالحُ إسماعيلُ ابنُ النَّاصرِ محمَّدِ بنِ قلاوون في سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة قريةً من ضواحي القاهرة يقال لها: بيسوس، كان اشترى الثلثين منها من وكيلِ بيتِ المال، ثمَّ وقفَها على كسوة الكعبة، وكان الثُّلث الثالثُ للحُجرة والمنبر، فاستمرَّ إلى سلطنة المؤيَّدِ شيخٍ، فكسا الكعبةَ مِن عندِه سنةً، لضعفِ الوقفِ، ثمَّ فوَّضَ أمرَها لبعضِ أمرائِه، فاستمرَّ بالنِّسبة للكعبةِ، وما عداها، فإنَّما يُرسلُ في كلِّ عشرِ سنين، نعم. كلَّما ولي بمصر ملكٌ يعتني بإرسالهما غالبًا"(٢).

٦) **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ.**

**تأليف**: نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، الشافعي (ت ٩١١هـ).

يعتبر السمهودي هو المؤرخ المحقق الذي لا يمكن لأحد معرفة تاريخ المسجد النبوي دون الرجوع إلى مؤلفات هذا العالم الإمام رحمه الله، فقد ألف: الوفا (ذروة الوفا) وخصصه للحجرة النبوية، وطالب برفع ما تهدم على القبور المقدسة في الحريق الأول سنة ٦٥٤هـ، ثم عاصر(٣) الحريق الثاني سنة ٨٥٤ الذي أتى

(١) التحفة اللطيفة: ٩٤ – ٩٥.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٠٩.

(٣) كان يعتمر في مكة، ولم يشاهد الحريق الذي كان في ١٣ رمضان من السنة المذكورة، والتهم كل كتبه =

على كامل المسجد النبوي، وشارك بالرأي في بعض ما يتعلق في إعادة بناء الحجرة النبوية، وبالتالي فإن السمهودي شاهد المسجد النبوي بعد الحريق الأول ووصفه، ثم شاهد وشارك في بناء المسجد النبوي بعد الحريق الثاني بكل التفاصيل(١)، وقد أودع تلك المعلومات المهمة والتحقيقات الرائعة في كتابه "وفاء الوفا".

قام السمهودي بذرع كل تفاصيل الحرم بنفسه(٢).

ويبين ما استقر عليه حدود المسجد النبوي في عهده: "ولما اتضح ذلك للمقر الشجاعي شاهين الجمالي ناظر الحرم الشريف النبوي وشاد عمائره وشيخ خدامه اتخذ لأعالي الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التي في قبلة المنبر طرازًا متصلًا بالسقف منقوشًا فيه أن ذلك هو الذي استقر عليه الأمر في نهاية المسجد النبوي وحده، فالله تعالى يوفقه للمداومة على حفظ الحدود، ويلحقه بالمقر بين الشهود"(٣).

وما شاهده أثناء بناء المسجد بعد الحريق الثاني: "لما حفر بعد الحريق الثاني لتأسيس المنبر الرخام وجدوا محل المنبر الأصلي شبه حوض من حجر، وفي جانبيه من المشرق والمغرب فرضتان منقورتان في الحجر بهما شيء من الرصاص بحيث لا يخفى على من أحاط علمًا بصفة المنبر النبوي أنهما محل عموديه كانا محكمين بالرصاص

=

التي كانت في إحدى خلاوي المسجد النبوي. (وفاء الوفا: ٢/ ٤١٣).

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٤١٣ – ٤٣٠.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٥٩، ٦٠، ٩٣، ٩٤، ٢٨٢، ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٧٠.

فيهما، وقد وقفت في المصلى الشريف مما يلي مؤخره، وتأملت الفرضة التي مما تلي الروضة فوجدتها في محاذاة يميني، فظهر أنها المرادة"(١).

"كان في قبلة المصلى الشريف صندوق خشب بديع الصنعة يعلوه محراب قد أنتج الصناع فيه نتائج مبدعة من صنعة النجارة، والمحراب المذكور شبه باب مقنطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور مكتوب في داخله أمام مستقبله بعد البسملة آية الكرسي، وعلى ظاهر الباب المقنطر بعد البسملة ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ﴾ [سورة البقرة:١٤٤] الآية، وفيه صنعة عجيبة وصبغ باللازورد وتذهيب عجيب يشغل الخاطر، ويفرق القلب الحاضر"(٢).

وبعدما أوضح المنبر الذي أرسله السلطان برقوق ثم منبر المؤيد قال: "وقد احترق هذا المنبر في حريق المسجد الثاني الحادث في رمضان عام ست وثمانين وثمان مائة، فكانت مدة الخطبة عليه نحو سبع وستين سنة.

ولما نظف أهل المدينة محله جعلوا في موضعه منبرًا من آجر مطلي بالنورة، واستمر يخطب عليه إلى أثناء شهر رجب سنة ثمان وثمانين، فهدم رابع الشهر المذكور، وحفروا لتأسيس المنبر الرخام الموجود اليوم ظاهر الدكة المتقدم ذكرها، فوجدت على النحو المتقدم، ونقضوا من بعضها قريب القامة فلم يبلغوا نهايتها، ووجدوها محكمة التأسيس في الأرض، فأعادوها كما كانت، إلا ما كان فوقها من نحو أزيد من نصف ذراع من الآجر، وسوّوا ما وجد مجوفًا منها كالحوض بالبناء

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٩١.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٩٦ – ٩٧.



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعد وضع ما تقدم ذكره مما وجد بمقدمها من بقايا المنبر القديم المحترق في الحريق الأول بمقدمها أيضًا، وكانوا قد سألوني عن ابتداءً حد المنبر القديم من جهة القبلة والروضة فأخبرتهم بذلك، وأن ذلك الحوض وما به من محل قوائم المنبر الأصلي إمام يقتدى به لموافقته ما ذكره المؤرخون قديمًا وحديثًا، فشرعوا في وضع رخام المنبر عليها على سمت ما ظهر من الفرضة التي وجدوها في الحوض المذكور على الاستقامة من غير انحراف، وبينها وبين طرف الدكة الشرقي خمسة أصابع، لما ظهر من أن المنبر الأصلي كان بالحوض المذكور، ومشاهدة محل قوائمه نقرًا في الحجر وبقايا الرصاص الذي كانت القوائم مثبتة به، وما وصفه المؤرخون في أمر المنبر الأصلي شاهد لذلك، ومعلوم أن الحوض الموجود في باطن تلك الدكة لا يمكن وضع المنبر فيه إلا على الاستقامة، سيما وقد طابقت سعته ما ذكره ابن جبير في سعة المنبر الأصلي، وإحكام تلك الدكة بحيث إنهم حفروا منها قرب القامة، ولم يدركوا آخرها، وإتقان فرضتي الحوض المذكور بالرصاص، وترخيم تلك الدكة قديمًا، كله قاض بجعل السلف لها من أجل وضع المنبر فيها، كما صرح به المؤرخون،... والحاصل: أنهم نقضوا ما سبق، وزادوا خلف أحجار الحوض المذكور نحو ربع ذراع العمل حتى ساوى ذلك محل المنبر المحترق من جهة القبلة، وحرفوه على تلك الدكة لجهة المغرب أزيد من تحريف المنبر المحترق، وجعلوا هذا المنبر في محل المحترق من جهة القبلة ومساو لطرفها الشرقي مما يلي القبلة أيضًا، وزعموا أنه لا يعول على كلام من قدمناه من الأئمة، ويتحرر مما سبق أنه مقدم على محل المنبر الأصلي لجهة القبلة بعشرين قيراطًا من ذراع الحديد، وهو نحو ذراع اليد، وأن المنبر النبوي لم يقع في محله تغيير إلا من تاريخ وضع المنبر المحترق في زماننا لأنه خفي

على واضعه ما في جوف الدكة المذكورة، ولم يدركه أحد من مؤرخي المدينة، وكان مفرط الطول بحيث كان قاطعًا للصف الباقي من الروضة، وقد اقتدى به واضع هذا المنبر لكونه من آبائه، ولم يبال ولي الأمر بتفويته المنقبة العظيمة في إعادة وضع منبر الرسول ﷺ على ما كان عليه، وهذا المنبر-أعني الرخام- أقصر من امتداد المنبر المحترق في الأرض بنحو ثلاثة أرباع ذراع، وعدد درجه مع مجلسه كالمحترق، ومحل عود المنبر الأصلي منه مما يلي الروضة وهو الذي كان بأعلاه رمانة المنبر النبوي قبل عمود هذا المنبر بأزيد من قيراط، وذلك على نحو ذراعين وشيء من طرف المنبر المذكور من القبلة.

وقد اشتهر محله من أحجار الدكة المذكورة بسبب تحريف المنبر المذكور بحيث تغيرت حدود الروضة الشريفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[(١)].

"قال المجد: والمنبر يحمل له في كل سبعة أعوام أو نحوها من الديار المصرية كسوة معظمة ملوكية يكساها من الجمعة إلى الجمعة، ورايتان سوداوتان تنسجان أبدع نسج ترفعان أمام وجه الخطيب في جانبي المنبر قريبًا من الباب.

قلت: في زماننا تمضي السبع سنين والعشر وأكثر من ذلك ولا تصل كسوة، والذي يجعل اليوم على المنبر إنما هو الستر المتقدم ذكره مع الرايتين اللتين ذكرهما المجد، والله أعلم"[(٢)].

"ويؤيد ذلك أنهم لما حفروا للدعامة الغربية التي إليها باب الحجرة الشامي

(١) وفاء الوفا: ٢/ ١٣٤ – ١٣٧.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ١٣٨.

عند بناء القبة والعقود التي حولها بالحجرة الشريفة بعد الحريق الذي أدركناه وجدوا في محاذاة باب جبريل أمام باب الحجرة المذكور درجًا تحت الأرض آخذة لجهة الشام، وقد سبق في حدود المسجد النبوي ما يقتضي أن جداره في المشرق كان هناك، فترجح عندي أن تلك الدرج كانت لباب جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأنه كان هناك قبل تحويله، والله أعلم"(١).

"ثم بعد أن منّ الله تعالى بإتمامها بلغ السلطان الأشرف أن متولي العمارة تسمّح في استعمال مؤن غير صالحة، وأن القبة التي سبق اتّخاذها على أعلى ما يحاذي الحجرة الشريفة قد تشققت ثم رمّت ثم تشققت، ولم يفد الترميم فيها، وأن المنارة الرئيسية قد مالت، مع أمور أخرى، فتغير خاطره على متولي العمارة، ثم انتخب لذلك المقر الشجاعي شاهين الجمالي لما اشتمل عليه من الفضل والنبل وإصابة الرأي، وفوض إليه أيضًا مشيخة الحرم ونظره، ونظر السماط، فورد المدينة الشريفة في موسم عام أحد وتسعين وثمانمائة، وجمع الناس للنظر في ذلك، وراجع فيه أهل الخبرة، فاقتضى الحال هدم المنارة الرئيسية وهدم أعالي القبة المذكورة، ولما هدم المنارة المذكورة ظهر أن الخلل من عدم المبالغة في حفر أساسها، فحفر أساسها حتى بلغ به الماء، واتخذ لها أحجارًا من الحجر الأسود متقنة، وأحكم بناءها مع الحسن الفائق، بحيث لم ير قبلها بالمدينة الشريفة مثلها، وجعل بابها من المغرب في محله الأول، وأبطل تلك الدرج المحدثة بأرض المسجد على ما سبق، وأما القبة فاتخذ في الطاقات المحيطة بجوانبها سقفًا يمنع من سقوط ما يهدم منها إلى أرض الحجرة

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٢١٢.

الشريفة، ثم شرع في هدمها وإعادتها، بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة ولم يتخذ المسجد طريقا للعمال في ذلك، بل اتخذ أساقيل يمشي عليها إلى سطح المسجد في ناحيته الشرقية، واتخذ حاجزا لمحل المنارة يحول بينها وبين المسجد بحيث يظن الظان أن المسجد لا عمارة به، وصانه أيضا من الامتهان بعمل أرباب الصنائع، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وجعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء.

وقد جاءت القبة حسنة مع الإتقان، حتى إنه استصحب في هذه العمارة الجبس من مصر المحروسة، واستعمله في البناء، وحرص على إتقان الآجر، وزاد العمال فيه على عادتهم، ولم يوفق متولي العمارة قبله لشيء من ذلك، سامحه الله، وكل ميسّر لما خلق له"[1].

"ذكر ابن جبير في رحلته ما يقتضي أن المنارتين الشاميتين كانتا صغيرتين، بخلاف الشرقية اليمانية، فإنه قال: وللمسجد المبارك ثلاث صوامع إحداها في الركن الشرقي المتصل بالقبلة، والاثنتان في ركني الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين، والصومعة الأولى المذكورة على هيئة الصوامع.

قلت: فكأن الشاميتين غيرتا بعد ابن جبير؛ فإنهما اليوم على هيئة الشرقية اليمانية المعروفة اليوم بالرئيسية؛ لاختصاص الرئيس بها، وكان طول المنارة الرئيسية في زماننا أولًا من رأس هلالها إلى أسفلها خارج المسجد بالبلاط سبعة وسبعين ذراعًا، بتقديم السين، ثم سقط منها نحو ثلثها بسبب الصاعقة التي نشأ عنها حريق المسجد الثاني كما سيأتي، فاقتضى الحال هدم جميعها، ثم أعيدت فكان

(١) وفاء الوفا: ٢/ ١٨٤.

طولها اليوم أزيد من مائة ذراع، فصارت أطول المنارات، ثم ظهر منها خلل بعد، فبعث السلطان الأشرف الشجاعي شاهين الجمالي وأمره بهدمها، فهدمها، وحفر أساسها إلى الماء، وأعادها متقنة جدا في عرض جدارها الشرقي من موضع الجنائز شرقي المسجد، وزاد في ارتفاعها أيضا حتى بلغ زيادة عن مائة وعشرين ذراعا، وطول المنارة الشرقية الشامية وهي المعروفة بالسنجارية تسعة -بتقديم التاء على السين- وسبعون ذراعا، وطول الشامية الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا -بتقديم السين فيهما- كل ذلك من أعلى الهلال إلى الأرض الخارجة عن المسجد، وبه يعلم أن المنارات التي كانت في زمن ابن زبالة ليست هي الموجودة اليوم"(١).

"قلت: ولم يوجد على الحجرة الشريفة عند انكشافها في العمارة التي أدركناها غير جدار واحد جوف الحظار الظاهر"(٢).

"قلت: ولم نر للبيت عند انكشافه في العمارة التي أدركناها بابا ولا موضع باب، ولم يوجد في الفضاء الذي يلي الشام من الحظار المذكور مركن ولا غيره مما ذكر، وسيأتي في الفصل الثالث والعشرين أن ابن عاث ذكر أنهم وجدوا عند عمارة حائط سقط بالحجرة قعبا انكسر عند سقوط الحائط، وأنه حمل إلى بغداد، فإن صح فلعله المراد، وفيما قدمناه إشعار بأن موضع القبور الشريفة كان مسقفا تحت سقف المسجد كما سيأتي التصريح به، ولهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظار الظاهر والحجرة، ولم يروا جوف الحجرة"(٣).

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٢٨٠ – ٢٨١.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٣٠٢.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٣٠٧.

ثم نقل رسوم الحجرة النبوية ممن سبقه وأخذ في وصف الحجرة النبوية كأحد الشهود الحاضرين لأنه موضع الثقة والعلم والمعرفة بالمدينة المنورة، وقال:" وفي هذا التصوير وما ذكر فيه من الذّرع مخالفة لما تقدم عن نقل ابن زبالة حيث قال.

والبناء الذي حول البيت بينه وبين البناء الظاهر اليوم مما يلي المشرق ذراعان، والتصوير المذكور قد اشتمل على أن الفرجة المذكورة ثلاثة أذرع، ويستفاد من التصوير أيضا أن الفرجة بينهما في جهة القبلة مختلفة، فبعضها دون الذراع وهو الشبر المشار إليه في كلام ابن زبالة، وبعضها ذراع.

وسنذكر أن ما شاهدناه في صورة الحجرة الشريفة عند انكشافها أقرب إلى التصوير المذكور مما ذكره ابن زبالة، وأن الحال شاهد بأنه وقع في بنائها الداخل تغيير؛ فلم يبق على الصورة المذكورة"(١).

"وقد صور ذلك ابن النجار في كتابه، وأظنه أخذه من نسخة وقعت له من ابن زبالة مشتملة على تلك الصورة، وتبعه عليها ابن عساكر في «تحفة الزائر» والمراغي في تاريخه، وهي بعيدة مما وجدنا عليه صورة الحجرة الشريفة؛ فلنبدأ بتصويره، ثم تصوير الصورة التي شاهدناها، ثم الصورة التي استقر بناء الحجرة الشريفة عليها، وقد تبعت في حكاية تصوير ابن النجار ما صنعه المراغي؛ فإني نقلته من خطه، فقال: وجعل عمر بنيان الحجرة الشريفة على خمس زوايا لئلا يستقيم لأحد استقبالها بالصلاة؛ لتحذيره ﷺ من ذلك، وهذه صورتها وصورة الحائز حولها كما ضبطه ابن النجار، والله أعلم.

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٣٢٣.

وهذا التصوير ينافي ما تقدم من رواية ابن زبالة وغيره أن البيت مربع مبني بحجارة سود وقصّة.

ثم بنى عليه عمر بن عبد العزيز هذا البناء الظاهر المخمس؛ لأنه صوّر فيه البيت مخمسًا أيضًا كما ترى، وهو خلاف الذي شاهدناه عند انكشافه في العمارة التي أدركناها، فرأيناه مربعًا مبنيًّا بالأحجار السود المنحوتة لونها يقرب من لون أحجار الكعبة الشريفة، ولها من الهيبة والأنس ما لا يدرك إلا بالذوق، ولم نجد بين الجدار الخارج والداخل من جهة المغرب فضاء أصلًا، ولا مغرز إبرة، ولم نجد للبيت الداخل بابًا أصلًا، ولا موضع باب، لا في الجهة الشامية ولا في غيرها، ووجدنا الفضاء الذي خلف البيت الشريف من جهة الشام، بينه وبين البناء الظاهر، شكله مثلث، ومساحته نحو ثمانية أذرع بذراع اليد المتقدم تحريره، وذلك من جدار البيت الشامي إلى زاوية البناء الظاهر المقابلة له، وهي الزاوية الشمالية التي تنحرف عنها صفحتا الشكل المثلث المذكور، وهناك أسطوانة ملاصقة لجدار البيت الشامي في صف أسطوانة مربعة القبر وأسطوانة الوفود، وبعض الأسطوانة المذكورة داخل في الجدار المذكور، وقد طوق على أعاليها بأطواق من الحديد، وأدعمت بجذع من جذوع النخل رأسه في أعاليها ورأسه الآخر في زاوية البناء الظاهر الشمالية المتقدم ذكرها، والظاهر أن ذلك جعل بعد الحريق لتشقق الأسطوانة المذكورة وتأثير النار فيها، وهي الأسطوانة التي تقدم ذكرها في التصوير الأول المأخوذ من كلام ابن شبة عند نهاية جدار البيت الشامي، مما يلي المشرق، لكنا لم نجدها كذلك، بل قريبة من وسط الجدار الشامي، غير أن متولي العمارة ومن كان معه أخبروني أنهم وجدوا عند نقض جدار البيت الشامي من داخله رأس جدار

في محاذاة الأسطوانة المذكورة يشهد الحال أنه كان آخذًا من الشام إلى ما يحاذيه من القبلي، فكأنه كان نهاية الحجرة الشريفة من جهة المشرق، وكأنه لما انهدم زيد فيها ذلك القدر، قالوا: ولا يخفى على الناظر أن بقية الجدار الشامي مما يلي المشرق لم يبن مع الجانب الآخر منه، بل هي ملصقة إلى رأس الجدار المذكور بحيث لم يدخل أحجار أحدهما في الآخر، ولا هي مرتبطة كما هو عادة البناء الواحد، ورأيت أنا ما يقابل هذا الجانب من الجدار القبلي مما يلي المشرق؛ فرأيت ما يشهد بإحداث بنائه بحيث إنه مبني بالحجارة غير الوجوه كنسبة الجدار الشرقي، بخلاف بقية جدارات الحجرة الشريفة فإنها كلها من داخلها وخارجها مبنية بالحجارة الوجوه المنحوتة، وإنما لم أشاهد ما قدمته مما حكى لي في أمر الجدار الشامي لأني اجتنبت حضور الهدم احتياطًا لنفسي، وظهر بذلك أن البيت الشريف كان من جهة المشرق على ما صوّره ابن شبة، ثم حدث ذلك بعده، ولم ينبه عليه أحد من المؤرخين، ويحتمل أن ذلك الجدار هو الذي أحدثته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بينها وبين القبور الشريفة؛ فقد تقدم عن ابن سعد روايته عن مالك بن أنس قال: قسم بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا باثنين، قسم كان فيه القبر، وقسم كانت تكون فيه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وبينهما حائط.

قلت: فهذا الاحتمال هو الذي يترجح عندي، والله أعلم.

ووجد بين جدار البيت الشرقي وبين الجدار الظاهر الشرقي فضاء مختلف كالزقاق الرقيق، فعند ابتدائه من جهة الشام نحو ذراع اليد يمر فيه الرجل منحرفًا، فإذا قرب من جهة القبلة تضاعف بحيث لا يمر فيه إلا الصغير منحرفًا، وسعته هناك نحو ثلث الذراع وقد نقل ابن شبة أنه كان ثلاثة أذرع؛ فهذا مؤيد لما قدمناه من حدوث التغيير في الجدار الشرقي الداخل، ورؤيته تقضي بذلك دون بقية الجدران.

ووجدنا بين جدار البيت القبلي والجدار الظاهر القبلي فضاء مختلفًا أيضًا كالزقاق الرقيق؛ فأوله من جهة الشرق نحو ذراع اليد، فإذا قرب من الوجه الشريف تضايق بحيث يصير نحو شبر ثم أقل من ذلك إلى ملتقى الحائطين في جهة المغرب، وهذا الفضاء لا يمكن المرور فيه؛ لأن الأسطوانة التي في البناء الظاهر عند مواجهة مواقف الزائر لسيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعضها بارز في الفضاء المذكور، وفي محاذاتها بناء بنحو عرضها قد سدّ ما بين الجدارين من الفضاء، وكأنه جعل لإدعام الجدار من أجل الانشقاق الآتي ذكره، أو لمنع المرور هناك، جزى الله فاعله خيرا!

وأما طول جدران الحائز الظاهر من كل زاوية إلى الأخرى من خارجه فطول الجدار القبلي من زاويته التي تلي القبلة من المغرب إلى زاويته التي تلي المشرق سبعة عشر ذراعًا، بتقديم السين، ينقص يسيرًا، وذلك موافق لما تقدم في تصوير ابن النجار. وطول الجدار الغربي من القبلة إلى طرف مقام جبريل ستة عشر ذراعًا ونحو نصف ذراع، ومنعطف مقام جبريل هناك الشام، وذرع منعطفه ذراعان ونصف ذراع، وجملة ذلك تسعة عشر ذراعًا؛ فهو المراد مما تقدم في تصوير ابن النجار، لكنه يوهم أن وجه مقام جبريل غير داخل في التسعة عشر ذراعًا التي ذكرها للجدار الغربي، وليس كذلك. وطول الجدار المنعطف من مقام جبريل إلى الزاوية الشمالية اثنا عشر ذراعًا ونصف ذراع راجح. وطول الجدار الشرقي من القبلة إلى الزاوية التي ينحرف منها إلى جهة الشمال اثنا عشر ذراعًا ونصف ذراع راجح.

وطول الجدار المنعطف من الجدار المذكور عند الزاوية المذكورة إلى الزاوية الشمالية نحو أربعة عشر ذراعًا، وفيما ذكرناه من الذرع في الثلاثة الجدر الأخيرة مخالفة لما تقدم في تصوير ابن النجار ومن تبعه.

وأما طول الحائز الظاهر في السماء فثلاثة عشر ذراعًا وثلث ذراع، ويرجح من بعض الجوانب يسيرًا، وعرض منقبته ذراع وربع ثمن.

ونقل الأقشهري أن ابن شبة نقل عن أبي غسان أن طول الحظار الذي على البيت- يعني الحائز المذكور- من جهة ارتفاعه ثلاثة عشر ذراعًا غير سدس.

قلت: وقد رأيت بأعلاه سترة من آجر قدر نصف ذراع يشهد الحال أنها محدثة لإحداث السقف الآتي ذكره للحجرة الشريفة بعد حريق المسجد الأول؛ فلا مخالفة بين ما وجدناه وبين ما ذكره أبو غسان.

وأما ارتفاع الجدار الداخل في السماء فقسته من خارجه من جهة الشام فكان خمسة عشر ذراعًا، وارتفاع تلك الأرض التي في شامي الحجرة بين الجدارين على أرض الحجرة ذراع ونحو ربع ذراع، ومع ذلك فالحائز الخارج أرجح من الداخل بيسير أو مساوٍ له، وسبب ذلك علو الأرض الخارجة عن هذا الحائز على الأرض الداخلة بين الحائزين بأرجح من ذراع ونصف، مع أن الأرض الداخلة بين الحائزين من جهة الشام التي هي كهيئة المثلث وجدت مجدولة بالحجارة والقصة بحيث لم يتأت لهم حفر أساس فيها، ولله الحمد على ذلك.

وأما ما تقدم فيما نقلناه من خط المراغي-وهو موجود في كلام ابن النجار وابن عساكر- من أن طول حيطان الحائز الخارج في السماء ثلاثة وعشرون ذراعًا، فهذا مخالف لما شاهدناه ولما قدمناه عن أبي غسان، وكأنهم أرادوا بهذا ذرع ما بين الأرض المحيطة بالحجرة وبين سقف المسجد، وهذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقا، بل فوقه شباك من خشب متصل ذلك الشباك بسقف المسجد كما يظهر عند رفع الكسوة، وكأن ابن النجار توهم أن الحائط المذكور متصل

بالسقف... وقال ابن النجار: واعلم أن على حجرة النبي ﷺ -أي: على سقفها- ثوبًا مشمعًا مثل الخيمة، وفوقه سقف المسجد، وفيه- أي: فيما تحت المشمع المذكور- خوخة عليها ممرق أي طابق مقفول، وفوق الخوخة في سقف السطح خوخة أخرى فوق تلك الخوخة، وعليها ممرق مقفول أيضًا، وبين سقف المسجد وبين سقف السطح أي السقف الثاني لسطح المسجد فراغ نحو الذراعين.

قلت: أما الممرق الذي ذكره في سقف المسجد الذي يلي الحجرة الشريفة فقد أدركناه موجودًا عليه قفل من حديد ومشمع جدده متولي العمارة التي أدركناها إلى أن احترق المسجد في زماننا، وعملت القبة التي جعلت بدلًا عن القبة الزرقاء.

وأما الممرق الذي ذكره في سقف الحجرة تحت المشمع الذي أشار إليه، فهذا كان قبل حريق المسجد الأول، ولم يوجد في السقف الذي عمل بدله بعد الحريق ممرق، نعم وجد عليه ستارة من المحابس اليمنية مبطنة، وسنذكر وصفه إن شاء الله تعالى عند ذكر العمارة المتجددة في زماننا، على أن الذي يقتضيه كلام المطري ومن بعده أنه ليس ثم غير طابق واحد في سقف المسجد، فإنه قال: وعلى سقف الحجرة بين السقفين- أي: سقفي المسجد- ألواح، وقد سمّر بعضها على بعض، وسمّر عليها ثوب مشمّع، وفيها طابق مقفل، إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبي ﷺ وبين الحائط الذي بناه عمر بن عبد العزيز.

قلت: وليس ما ذكره في وصف هذا الطابق بصحيح؛ لأن النزول منه يكون على وسط الحجرة سواء كما شاهدناه"[١].

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٣٢٣ – ٣٣٣.

ثم ذكر بالتفصيل ما رآه في الحجرة النبوية من آثار ردم الحريق الأول، وكيف تم تنظيفها وإعادة ما احتيج إلى بناء وإحكام(١).

وأوضح التحسينات التي جرت على قبة الحجرة النبوية في سنة ٨٨١هـ(٢)، وفي سنة ٨٩٢هـ، فقال: "ثم إن القبة المذكورة تشققت من أعاليها ولم ينفع الترميم فيها، ففوّض السلطان للشجاعي شاهين الجمالي النظر في أمرها وأمر المنارة الرئيسية أيضًا عند توليته شيخ الحرم الشريف، فاقتضى رأيه بعد مراجعة أهل الخبرة هدم أعالي المنارة المذكورة واختصار قليل منها، فاتخذ أخشابًا في طاقاتها وجعل عليها سقفًا يمنع ما يسقط عند الهدم للحجرة الشريفة، ثم هدم أعاليها وأعاد بناءها أحكم من البناء الأول، بحيث حمل لها الجبس الأبيض من مصر وجعله في بنائها، فجاءت محسنة محكمة، وأزيل ذلك السقف عند تمامها، وذلك في عام اثنين وتسعين وثمانمائة"(٣).

كما وصف الرخام الملبس بالحجرة فقال: "وقد جدده في زماننا متولي العمارة الآتي ذكرها الجناب الشمس المحسني الخواجكي بن الزمن بأمر المقام الشريف السلطاني قايتباي عز نصره، ووجد في الصفحة القبلية عند ابتدائها من جهة المغرب في اللوح السماقي اللون الثاني في تلك الجهة من الألواح الملونة التي يحيط بها الرخام الأبيض البارز قطعة أوسع من الدينار ملصقة في ظاهر اللوح

(١) وفاء الوفا: ٣٩٧ – ٤١٠.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٣٩٦ – ٣٩٧.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٣٨٧.

المذكور بالجص، فأشيع أنها جوهرة نفيسة ذات لمعان، ثم إن متولي العمارة أرانيها فإذا هي حجر عسلي اللون تميل حمرته إلى الصفرة، قال: وأظنه حجر اليرقان، وقد خشي عليه متولي العمارة إن أعيد لصقًا كهيئته الأولى، فأمر بنقر الرخامة المذكورة وتنزيله فيها، ففعلوا ذلك، وأعادوا تلك الرخامة إلى محلها"[(١)].

"وأما الرخام الذي بالمحراب العثماني وما حوله فالقديم منه -أعني بعد الحريق الأول- ترخيم المحراب وشيء يسير عن جنبتيه، وفي دولة السلطان الملك الظاهر جقمق في أول عشر الستين وثمانمائة أمر بعمل الوزرة التي في الجدار القبلي، فاتصل ذلك بترخيم المحراب المذكور، وقد جدد غالب ذلك في العمارة التي أدركناها أيضا، وأبدل الطراز الأول الذي كان بأعلى الوزرة وكان محمرًا بماء الذهب الطراز الموجود اليوم، ثم زال ذلك كله في حريق المسجد الثاني، ثم أعيد مع زيادة فيه مما يلي المنارة الرئيسية، ومع ترخم ما حول الحجرة الشريفة وتأزيرها بالرخام، ومع ما سبق من عمل محراب المصلى الشريف وترخيمه، ورخموا أيضًا الدعائم المواجهة للوجه الشريف التي أحدثوها عند عمارة القبة الثانية من داخل المقصورة وخارجها، وجميع ما يوجد من الرخام بالمسجد اليوم من عمل سلطان زماننا الأشرف قايتباي[(٢)]،

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٣٣٨ – ٣٣٩.

(٢) قايتباي الجركسي المحمودي الأشرفي ثم الظاهري، ولد تقريبا بعد سنة (٨٢٠هـ)، وقدم مع تاجر لمصر في سنة (٨٣٩هـ) فاشتراه الأشرف برسباي، ثم صار إلى الملك الظاهر فأعتقه، ولم يزل عنده يترقى من مرتبة إلى أن صار الملك في سنة (٨٧٢هـ)، ولما استقر في المملكة أخذ في الحل والعقد والعزل والعهد، ولم يكن في زمنه منازع ولا مدافع، وطالت أيام دولته السعيدة وسار في الناس السيرة الحميدة، واجتهد في بناء المشاعر العظام بحيث وقع له من ذلك ما لم يتفق لغيره من ملوك الإسلام: كعمارة مسجد الخيف بمنى، وحفر بنمرة صهريجا ذرعه عشرون ذراعًا، وعمر بركة =

أعز الله أنصاره، وضاعف اقتداره! والله أعلم"[1].

كما وصف جدار القبلة في المسجد والأساطين قبل وبعد الحريق: "ووصف ابن عبد ربه في «العقد» ما في جدار القبلة من وزارت الرخام وطرر الذهب والفسيفساء، ثم قال: وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها.

وذكر أيضًا أن رؤوس الأساطين مذهّبة عليها أكف منقشة مذهّبة، وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضا.

=

خليص، وأجرى العين الطيبة إليها، بل أصلح المسجد الذي هناك بحيث عم الانتفاع بكله للقاطن والسالك، وعمر عين عرفة بعد انقطاعها أزيد من قرن، وعمر سقاية العباس، وأصلح بئر زمزم والمقام، وجهز في سنة تسع وسبعين للمسجد منبرًا عظيمًا ونصبه في ذي القعدة، وكان يرسل للكعبة الشريفة بكسوة فائقة جدًّا في كل سنة، وأنشأ بجانب المسجد الحرام عند باب السلام مدرسة عظيمة للتدريس وبها فقراء وخزانة للربعات وكتب العلم، وبجانبها رباط للفقراء والطلبة، ومع إجراء القوت لهم في كل يوم، وسبيل عظيم للخاص والعام، ومكتب للأيتام، وكذا أنشأ بالمدينة النبوية مدرسة بديعة بهية، بل بنى المسجد الشريف بعد الحريق، وجدّد المنبر والحجرة والمصلى النبوي وغيرها من المحراب العثماني والمنارة الرئيسية بدء على عود، بل رتب لأهل السنة من أهلها والقادمين عليها من كبير وصغير وغني وفقير ورضيع وفطيم وخادم وخديم ما يكفيه من البر ومن الدشيشة والخبز ما تيسر، وعمل أيضًا ببيت المقدس مدرسة كبيرة بها شيخ ودرس وغير ذلك مما يطول ذكره، وله تهجد وتعبد وأوراد وأذكار وتعفف وبكاء من خشية الله تعالى، وميل لذوي الهيئات الحسنة والصفات، وتلاوة ومطالعة في كتب العلم والدقائق وسير الخلفاء والملوك، بحيث يسأل القضاة وغيرهم الأسئلة الجيدة، وربما أفادهم في بعض الأحيان والاعتراف من نفسه بالتقصير والاعتقاد فيمن يثبت عنده صلاحه من الصلحاء والعلماء، استمر في السلطنة قرابة ثلاثين عاما، وتوفي سنة (٩٠١هـ). (الضوء اللامع: ٦/ ٢٠١؛ النور السافر: ١/ ١٥).

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٣٣٩.

قلت: وقد زال ذلك كله بسبب الحريق الأول، وبقي من آثاره شيء يسير في مؤخر المسقف الغربي بجدار المسجد مما يلي الدكاك، وشيء يسير بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلي بابها فيه شيء من الفسيفساء. وأما جدار القبلة فليس به اليوم إلا لوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف، وهو من الآثار القديمة، وكان يقابله في جهة يسار المستقبل لوح مثله سقط قريبًا، ثم زال ذلك كله في الحريق الثاني. وبالجدار المذكور اليوم وزرة رخام أول من أحدثها بعد الحريق الأول الظاهر جقمق كما قدمناه مع بيان أن المحراب العثماني وما حوله كان مرخمًا قبل ذلك، وبقية المسجد مبيض أحسن بياض.

وفي جدار القبلة عصابتان من طراز تقدم ذكرهما أيضًا، وكان قد انقشر من العليا منهما شيء يسير، فقلع متولي العمارة التي أدركناها ذلك وما حوله، وجعله طرازًا باسم سلطاننا الأشرف قايتباي أعز الله أنصاره، ووصله ببقية العصابة المذكورة. وتقدم أيضًا ذكر الطراز الآخر من جهة السقف إلى قرب العصابة المذكورة، وبيان أن الذي ترجح عندي أنه جعل لتمييز المسجد النبوي عما زيد فيه، وقد زال ذلك كله بعد الحريق الثاني، وأعادوا منه ترخيم جدار القبلة كما سبق"[١].

وقدم وصفًا مهمًّا للقناديل المعلقة في المسجد وعددها[٢]؛ كما تحدث عن البالوعات التي في وسط المسجد في زمانه[٣]، ووصف كل شيء في المسجد النبوي[٤].

(١) وفاء الوفا: ٢/ ٤٦٤.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٣٥٣ – ٣٦١.

(٣) وفاء الوفا: ٢/ ٤٦٩.

(٤) المصدر السابق: ٤٦٩ – ٤٧٩.

## ثانياً: كتب الرحلات[1]:

**١) ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة.**

**المؤلف:** محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي (المتوفى: ٧٢١هـ).

دخل المدينة في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ٦٨٤هـ، وخرج منها ظهر السادس والعشرين من الشهر نفسه إلى مكة لأداء مناسك الحج. وذلك بعدما عمّر المسجد النبوي بعد الحريق الأول عام ٦٥٤هـ، فنقل وصفًا للروضة ولفرش المسجد بالرمل الأحمر، فقال:

"وموضع مُصَلَّى الإمام اليوم محدود، يقولون هو موضع مصلّى النبي ﷺ، وظاهر الحال أنّ موضع سجوده ﷺ هو موضع الخزانة التي فيها المصحف، وموضع قعوده ﷺ في جلسات صلاته هو موضع سجود الإمام اليوم. وهو في وسط المسجد

(١) لقد استبعدت رحلات فارتيما، تأليف: لودفيكو دي فارتيما، ترجمة وتعليق: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٤م.
من أوائل الغربيين الذين قاموا برحلات استكشافية لأهداف استعمارية، وهو مغامر إيطالي الأصل لا توجد معلومات تفصيلية عن حياته، أرسله ملك البرتغال لاستكشاف مناطق في العالم كان البرتغاليون يعملون على استعمارها، تنكر بهيئة مملوك مسلم وتعلم اللغة العربية وشيئًا من الشريعة الإسلامية، وتسمى باسم: يونس المصري، ودخل مع ركب الحجيج إلى المدينة ومكة ثم واصل رحلاته إلى الهند وشرق آسيا لجمع معلومات عن الأحوال الداخلية في العالم الإسلامي. (٨٦٩-٩٢٣هـ/ ١٤٦٥-١٥١٧م)، بدأ رحلته مع الركب الشامي سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م) ومكث في المدينة أربعة أيام، وقدم وصفًا للمسجد فيه بعض الشك، ولما أن هذه الفترة كان السمهودي حيًّا وقد وصف المسجد بما لا مزيد لأي معلومة من هذا الجاسوس.


المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بين القبر والمنبر. وهو مسطح برخام مُجزَّع منخفض يسيرًا عن مستوى المسجد كأنّه صهريج صغير، يسع مصليين متضامّين، وهنالك كان الجدار القبلي الأصلي قبل الزيادة في المسجد. والمسجد كلّه مفترش برمل أحمر ليس فيه شيء مفترش بالرخام إلاّ ذلك الموضع، وحرم الروضة الكريمة، ومركز المنبر الكريم. والمنبر اليوم في وسط المسجد. وإذا كثر الناس في الموسم تقدّم الإمام إلى القبلة فصلّى في المحراب في الزيادة المزيدة في القبلة"(١).

٢) **رحلة العبدري المسماة (الرحلة المغربية).**

**تأليف:** أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد العبدري الحيحي (ت٧٢٠هـ)(٢)

بالرغم من أن العبدري لم يقم في المدينة سوى يوم وبعض يوم وذلك بعد وصوله لها بعد أداء فريضة الحج في الثامن والعشرين من ذي الحجة ٦٨٩هـ (٣)، إلا أنه قدّم وصفًا مهمًّا للمسجد، وللحصوة المفروشة بالرمل الأحمر، والمخزن الذي في مؤخرة المسجد، والنخلات المجاورة له، ولأبوابه، ومآذنه، والحجرة النبوية، وكسوتها، والقبة البيضاء التي فوقها فقال:

"وأما مسجد النبي ﷺ فعلى صورة المسجد الحرام إلا أنه في المساحة دونه بكثير وعرضه من المشرق إلى المغرب، وهو عالي السمك مبيض مدور بالسقائف عجيب المنظر، ووسطه فضاء مفروش برمل أحمر، وأساطينه مبيضة بالفضة عالية

(١) ملء العيبة: ٣٤-٣٥، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٢) تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط٢/ ٢٠٠٥م.

(٣) الرحلة المغربية: ٤٢٢. وكان ذلك في آخر ذي الحجة من سنة ٦٨٨هـ.

متسع ما بينها وأوسع سقائفه ناحية الجنوب، وفيها المحراب وهي خمسة صفوف، وفي مؤخر المسجد وهي ناحية الشمال أربعة صفوف وفي ناحية الشرق ثلاثة صفوف وفي الغرب أربعة صفوف، وفي الناحية الشمالية من فضاء المسجد بيت مربع مليح هو مخزن المسجد، وبالقرب منه نخلات صغار ناضرة عليها أثر التعاهد بالصون.

وقد وُسِّعَ المسجد مرارًا بعد رسول الله ﷺ حسبما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وكان المسجد من موضع المنبر إلى الروضة المقدسة شرقًا وغربًا ومن موضعه إلى علم هناك جنوبًا وشمالًا، وكان المنبر إلى الجدار الغربي. ثم وُسِّعَ المسجد غربًا وجنوبًا وشمالًا، وبقي المنبر بموضعه، والزيادة على المسجد من ناحية الغرب قدر مساحته ومن الجنوب صف واحد وفيه المحراب، ومن الشمال قدر مساحته ثلاث مرات، وأما ناحية الشرق فلم يزد فيها إلا مقدار ممر إنسان من وراء الروضة المقدسة وكانت ساحة المسجد حين بناه رسول الله ﷺ مائة ذراع طولًا وعرضًا وقيل سبعون طولًا وستون عرضًا وقيل غير ذلك. وللمسجد الآن أربعة أبواب: باب السلام وباب الرحمة من ناحية الغرب وباب جبريل وباب النساء من ناحية الشرق، وفي الصف الأول قريباً من الروضة باب آخر هو نفق في الأرض يهبط فيه على درج ويخرج منه إلى حُجَرٍ في قبلة المسجد ذكروا أنها حُجَرُ أزواج النبي ﷺ وينسبونها حُجرة حُجرة وذلك باطل، فإن الروضة المقدسة هي حُجرة عائشة رضي الله عنها وقد دخل غيرها من الحُجَر في المسجد في زمان الوليد بن عبد الملك. قال وذكروا أنه كان للمسجد عشرون بابًا ثم سُدَّتْ كلها إلا الأربعة المذكورة والله أعلم. وفي المسجد ثلاث صوامع: اثنتان على الركنين الجنوبيين وواحدة في مؤخر المسجد، وذكر بعض الناس أن أساطينه مائتان وست وسبعون أسطوانة، وأنا لم أعدَّها لشغلي بغير ذلك.

وأما الروضة المقدسة زادها الله شرفًا وجلالة فهي في داخل المسجد عند الجدار الشرقي قريبًا من الركن الذي على يسار المحراب، وبينها وبين الركن الصف الأول، وبينها وبين الجدار الشرقي ممر ضيق حسبما تقدم. وهي شرفها الله معمولة بالرخام الأبيض من الأساس إلى سقف المسجد بأتقن ما يكون من الصنعة وأعجبه، وهي موضوعة على شكل التربيع ولكن ربعها الشمالي ينحو نحو الاستدارة، وفيه أركان وبعض انخراط إلى الجهة الشرقية، وفي ركنها الواصل بين الجدار الغربي والجنوبي صندوق مليح من خشب مبني في الحائط بإزاء رأس النبي ﷺ، وعلى يمينك وأنت مستقبل له علم بإزاء رأس أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم آخر بإزاء رأس عمر رضي الله عنه ويعطي ذلك أنها على هذه الصورة.

وقد قيل فيها صِفَة أخرى غير هذه والله أعلم. وعلى الروضة زادها الله تشريفًا كسوة رائقة انسدلت عليها إلى قريب من القامة، تُكساها في كل عام كما تكسى الكعبة.

وعلى الروضة شرّفها الله شباك من عود محكم الصنعة، وله بابان غربي وشمالي، وأما الروضة فَمُصْمِتَةٌ لا باب لها، وفوقها قبة بيضاء إلى الدكنة، مصمتة أيضاً مليحة عجيبة مسمَتٌ عالية على البنيان(١).

٣) **اسم الكتاب: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق.**

**المؤلف**: خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ).

(١) الرحلة المغربية: ٤٢٣ – ٤٢٧.

يأتي وصف البلوي في رحلته إلى المدينة عام ٧٣٧هـ للمسجد مهما فهذه الرحلة مثل سابقتها جاءت بعد حريق سنة ٦٥٤هـ، ليعرفنا على المسجد ومعالمه قبل الحريق الثاني عام ... فيقول:

"ثم أقبلت على ذلك الحرم الشريف. والمسجد الرفيع المنير، أتأمل محاسنه، وأتخيل فيه بين أصحابه الأبرار ساكنه، فمن أبدع ما رأيته وأبرعه قصيدة فريدة كتبت بالخط المذهب الرائق البديع، وأثبتت في ألوان الأذهان التي تخجل زهر الربيع ورفعت أمام المقدسة في سقف المسجد الشريف الرفيع فنحلت القراطيس لؤلؤها، ونقلت كل ما كان قبلها وبعدها، وها هي تسفر عن غرتها الواضحة، وتعبق عن نسمتها النافحة، وتشهد لناظمها بالقريحة الراجحة والعقيدة الصالحة: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،

**سلام كنشر الورد من مسقط الندا ◆◆◆ عليك رسول الله يا منزل الهدى**

... (ثم ساق بقية القصيدة وهي ٢١ بيتاً) اللهم أدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين لعبدك المسكين، الذي أوليته أمور المسلمين واخترته على كثير من العالمين، السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، وأبو المعالي محمد قسم أمير المؤمنين سلطان الإسلام والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين، قاهر الفجرة والمتمردين، حامي حوزة الدين، سلطان الديار المصرية والعراقية، والبلاد الشامية، ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين، ولد السلطان المرحوم، الملك المنصور، سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي[1] أدام الله أيامه، ونشر في الخافقين رايته وأعلامه،

(١) قلاوون الصالحي: الملك المنصور ولد سنة ٦٨٤هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ، تولى السلطة سنة ٦٧٨هـ، =



المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وجعل السعد والإقبال حيثما توجد أمامه، وكان ابتداء العمل في شهر ربيع الأول، وانتهاؤه في جمادى مستهل الأخير سنة إحدى وسبعمائة للهجرة النبوية انتهى"(١).

"والروضة المقدسة مع آخر الجهة القبلية من المسجد الشريف مما يلي الشرق، ولها خمسة أركان خمس صفحات وشكلها عجيب، لا يكاد يتأتى تصويره لأحد ولا تمثيله، والصفحات الأربع محرفة من القبلة تحريفًا بديعًا لا يتأتى لأحد استقبالها في صلاته، لأنه ينحرف عن القبلة وقيل إن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اخترع في تدبير بنائها مخافة أن يتخذها الناس مصلى، وفي الصفحة الغربية منها صندوق من أبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها هو قبالة رأس النبي ﷺ، وطوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة وارتفاعه أربعة أشبار، وفي الصفحة القبلية أمام وجه النبي ﷺ مسمار فضة هو قبالة الوجه الكريم فيقف الناس أمامه للسلام عليه ﷺ وإلى قدميه رأس أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورأس عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما يلي كتفي أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقف المسلم مستدبر القبلة ومستقبل الوجه الكريم فيسلم ثم ينصرف

=

من أشهر سلاطين المماليك، في أيامه بنيت قبة على الحجرة الشريفة سنة ٦٧٨هـ، ولم يكن قبل ذلك عليها قبة ولا بناء مرتفع وإنما كان حول الحجرة الشريفة فوق سطح المسجد حظير مبني بالآجر مقدار نصف قامة بحيث يتميز سطحها عن سطح المسجد فعملت هذه، وهي أخشاب أقيمت وسمر عليها ألواح من خشب وعلى الألواح ألواح من رصاص ولم يقف على تعيين من عملها، وكذا أنشأ عند باب السلام سنة ست وثمانين وستمائة ميضاة هائلة. كان وسيمًا جسيمًا، حسنًا قيمًا، تامًّا، نبيلًا، حليمًا، جميلًا، من أحسن الناس صورة وأكثرهم هيبة، تعلوه جلالة وحشمة ووقار، وعليه مهابة وحرمة، وله من الفتوحات من القلاع التي بيد الإفرنج الكثير، وأبطل المظالم، (المغانم المطابة: ١/ ٤٢٠؛ عقد الجمان: ١/ ٢٠٩؛ الدرر الكامنة: ٤/ ١٤٤).

(١) تاج المفرق: ٦٣ – ٦٤.

إلى وجه أبي بكر، ثم إلى وجه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأمام هذه الصفحة المكرمة نحو العشرين قنديلًا معلقة من الفضة، وفيها اثنان من الذهب وتوقد كل ليلة مع غيرها من الشمع العظيم العجيب، فجميع سعة الروضة المباركة من جميع جهاتها مائة شبر واثنان وسبعون شبرًا، مؤزرة بالرخام البديع النحت، الرائق النعت وينتهي منها إلى نحو الثلث وإلى حيز الرخام تنتهي الأستار من الديباج وهي لا زوردية اللون مختمة بخواتم بيض مثمنة ومربعة، ومنظرها منظر رائق بديع الشكل، والجدار المكرم قد علاه تضميخ المسلك والطيب متراكمًا عليه على طول الأزمنة وتعاقب الأيام، والذي يعلو مع علو الجدار شبابيك عود متصلة بالسمك الأعلى لأن أعلى الروضة المقدسة متصل بسمك الجدار الشريف، وبين الروضة المقدسة والشبابيك المباركة مدى واسع، وللشبابيك أبواب مكتوب على كل باب منها ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم خدم بهذه الدار بزينة للحرم الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبر الصالحي، قسيم أمير المؤمنين في سنة ثمان وستين وستمائة"، وفي جوفي الروضة المقدسة حوض صغير مرخم في قبلته شكل محراب قيل: إنه كان بيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقيل: إنه قبرها، والله أعلم، وعن يمين الروضة المقدسة المنبر المبارك الذي قصر الصانعون عن صنعته ونبت الإفهام عن مرام شبهه فقام في أدق نمنمة، وأوضح رقم من رفيع الأبنوس ونفيس الصندل الأحمر والأصفر والبقس واللبع والبقم والشوحط والقيقب بأحكم تصنيف وأبدع تركيب وما بينهما الروضة التي جاء فيها الحديث أنها من رياض الجنة فتزاحم الناس فيها للصلاة وحق لهم ذلك وبإزاء الجهة القبلية عود يقال إنه مطبق على بقية الجذع الذي حن للنبي ﷺ وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة ...، وطول المسجد الكريم مائة وست وتسعون خطوة وسعته مائة وست وعشرون خطوة وهو بالذراع ثلاثمائة

ذراع طولًا ومائتان عرضًا وتكسيره من المراجع المغربية أربعة وعشرون مرجعًا، وعدد سواريه ثمانمائة وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به ووسطه كله مفروش بالحصا والرمل وفي صحنه قبة بيضاء كبيرة أمامها خمس عشرة نخلة نصف جدار القبة الأسفل رخام موضوع إزار على إزار مختلف الصنعة واللون مجزع أبدع تجزيع، والنصف الأعلى من الجدار منزل كله بالذهب قد أنتج الصناع فيه نتائج غريبة من الصنعة فيها تصاوير أشجار مختلفات الصنعة ماثلات الأغصان فيه بثمرها، والمسجد المكرم كله على تلك الضفة لكن الصنعة في جدار القبلة أحفل والاحتفال في هذا المسجد المبارك أكثر من أن يأتي عليه الوصف وللمسجد الكريم أربعة أبواب كبار هي المفتوحة الآن في الغرب منها اثنان يسمى أحدها باب الرحمة والثاني باب الخشية وفي الشرق اثنان يعرف الواحد بباب جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والثاني بباب الرخاء، ويقابل باب الرحمة مدرسة لم أر أحسن بناء منها ولا أبدع صنعة، ويقابل باب جبريل باب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي التي استشهد بها وبإزاء المقصورة لجهة الشرق خزانتان كبيرتان تحتوي على كتب ومصاحف موقفة على المسجد المبارك، وبخارجه لجهة الشرق دار أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبإزائها دار عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودار ابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وللحرم الشريف أربع صوامع في الأربعة الجوانب"[١].

(١) تاج المفرق: ٦٤ – ٦٥.

## الخاتمة:

حفظت لنا كتب السنة معلومات مهمة تخص بناء المسجد النبوي حتى العهد الأموي، كما قدمت كتب السيرة النبوية معلومات مقتضبة وغير مستفيضة عن بناء المسجد، وفي مقابل ذلك قدمت كتب التاريخ الخاص بالمدينة المنورة معلومات دقيقة وافرة عن بناء المسجد النبوي عبر العصور، واتسمت تلك المعلومات بأهمية قصوى لوثوق مصادرها من العلماء الذين شاهدوا ونقلوا وصف المسجد النبوي.

ولعل أهم ما يميز مؤلفي تاريخ المدينة المنورة حفظ تلك النصوص الخاصة بالمسجد النبوي ونقلها من كتب هي الآن في حكم المفقود.

ولا ننسى أن كتب التاريخ العام قد أمدتنا بمعلومات تفصيلية وإضافات مهمة عن بناء المسجد وتوسعاته خصوصًا في العهد العباسي، مع حفظ نصوص لمؤلفات فقدت منذ وقت مبكر تخص المدينة المنورة وتاريخها.

كما قدمت كتب الرحلات معلومات مهمة عن المسجد النبوي ووصفه أثناء تواجد صاحب الرحلة في المدينة كل حسب الزمن الذي جاء فيه، وبالتالي قدمت كتب الرحلات رصدًا كاملًا لما مر على المسجد النبوي من بناء وترميم وتزويق واهتمام.

وقد أسهمت كتب البلدان والأدب بمعلومات إضافية عن بناء المسجد النبوي ووصفه إما نقلاً عن بعض المصادر المفقودة، أو مشاهدة لحال المسجد في عهد المصنف.